عندما يتحدث الأبناء

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى يوم الدين آمين رب العالمين.

لقد جرت سيرة السلف من العلماء على ترجمة الأعلام والشخصيات وذكر الأمور الهامّة في حياتهم، لكي تستفيد منها الأجيال عبر العصور المختلفة وتستلهم منها الدروس والعبر في حياتها اليومية.

وقد كثرت التراجم لدى الإمامية امتثالاً لوصايا الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين أكدوا على تقييد كل شيء وتدوين جميع ما ينفع الناس بما في ذلك سير وأحوال العظماء لكي يحفظ التراث من الضياع والتلف، ففي الحديث: من ورّخ مؤمنا فكأنما أحياه[1].

وببركة التزام رجال الطائفة بوصايا أهل البيت عليهم السلام بتقييد العلوم بالكتابة أثريت المكتبة الشيعية بالعديد من مصنفات التراجم وسير العظماء التي لا يطلع عليها أحد إلا ويخرج بحصيلة كبيرة من المعارف والعبر التي ربما لا يجدها في بطون المصنفات وأعماق الكتب.

من هذا المنطلق- ومن باب البر بالوالدين وخدمة المذهب- فقد كتب الامام المجدد آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي رحمه الله كتاباً حول والده فقيه أهل البيت عليهم السلام الورع التقي آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي رحمه الله

---

١ ـ مستدرك السفينة ج١٠ ص٢٧٩.

بعنوان(والدي) جمع فيه العديد من الخواطر والذكريات ، وقد طبع الكتاب عدة مرات وترجم إلى بعض اللغات.

وبعد رحيل الامام المجدد آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي رحمه الله الذي أفجع العالم، كتب الكثيرمن العلماء حوله، ومنهم نجله الأكبر الفقيه المقدس آية الله الشهيد السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله حيث كتب بعض ذكرياته وخواطره حول والده رحمه الله وقد أسماه بـ(خواطر) علماً أنّ الكتاب طبع أكثر من مرة وترجم إلى بعض اللغات.

ولما استشهد الفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله الذي افجع الجميع برحيله كتب أيضاً نجله الأكبر- السيد محمد حسن الذي لم يبلغ من العمر سوى إحدى عشرة سنة- كتاباً حول والده المقدس باللغة الفارسية ثم ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان(هكذا كان أبي).

إن أسرة آل الشيرازي حملت منذ أكثر من قرن تأريخا حافلا تترابط فيه أصالة الماضي و الحاضر لتمتد الى المستقبل، و إرادة فذة تكاملت فيها كل صفات الإنسان الحر العالم العامل المجاهد من أجل حرية الأمة و عزتها و قد انبثقت تلك القوة من التمسك الشديد برسول الله صلى الله عليه وآله و الأئمة المعصومين عليهم السلام

فقد كان دورهم أكبر من أن يكتفى بإنجازات الحاضر بقدر ما كانوا يسعون لبناء المستقبل، عبر إصلاح الحاضر و توفير النموذج الصالح للإمتداد و بناء تراكم تاريخى للأمة يهدف الى عملية النهوض عبر الوعي و العلم و التثقيف و رفع مستوى التفكير عند الأمة الإسلامية.

لقد شكلت أسرة آل الشيرازي نموذجا فريدا قل نظيره في التاريخ، فهي مدرسة متكاملة و مشروع حضاري شامل مبتن على الفهم الصحيح و الوعي السليم و الحركة العقلانية المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف و الروح الإنسانية السامية حيث اقتبست منهجها من القرآن الكريم و أحاديث الرسول الأعظم و أهل بيته الاطهار عليهم السلام، و هذا هوالسر فى امتدادها لأكثر من قرن وهي تشغل حيزا كبيرا من تأريخ الحاضر و المستقبل و لذلك فإنها لازالت تثمر و يتوارثها الأجيال تلو الأجيال بإذن الله ﴿**كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ**﴾[1].

لأجل ذلك ومن باب تعظيم العلماء وحفظ تراثهم، قامت مؤسسة إحياء تراث العلماء الشهداء من آل الشيرازى ـ رحمهم الله ـ بجمع هذه الكتب الثلاثة التي كتبت بيد أكبر أنجالهم في كتاب واحد تحت اسم(عندما يتحدث الأبناء) و تم إضافة ملحق للصور في نهاية الكتاب يحكي بعض الجوانب عن معالم هؤلاء العظماء.

راجين من الله العلي القدير أن يتقبل منّا هذا الجهد المتواضع وأن يتغمّد الماضين من أسرة الإمام الشيرازي بواسع رحمته ويسكنهم فسيح جناته مع محمد وآله الطاهرين.

مؤسسة إحياء تراث العلماء الشهداء من آل الشيرازي

ALSHIRAZI.H.M@GMAIL.COM

---

١ ـ سورة ابراهيم: ٢٤.

القسم الأول: والدي

لمحات عن حياة

فقيه أهل البيت عليه السلام آية الله العظمى

السيد الميرزا مهدي الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ

بقلم نجله الأكبر:

الإمام المجدد آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين:

كانت ولادة أبي رحمه الله في مدينة كربلاء المقدّسة سنة ١٣٠٤هجري، وتوفّي فيها في ٢٨ شعبان ١٣٨٠ هجري، وقد توفّي جدّي المرحوم الميرزا عندما كان الوالد لا يزال صغيراً، فتربّى برعاية أمّه وأخيه الأكبر السيّد عبد الله، وقد تلقّى دراسته الأولى في مدينة كربلاء حيث درس العلوم الأولية من النحو والصرف والحساب وما إليها، ثم انتقل إلى مدينة سامراء واشتغل بالبحث والدرس والتدريس هناك مدّة طويلة من الزمن، ثم سافر إلى الكاظمية ومكث هناك مشتغلاً بالبحث والدرس لفترة من الزمان، ثم سافر إلى مدينة كربلاء وبقي مدّة قصيرة، وانتقل بعدها إلى النجف الأشرف وبقي هناك ما يقارب عشرين سنة، بعد ذلك انتقل إلى مدينة كربلاء وبقي فيها إلى حين وفاته.

أساتذته

تتلمذ على يد الشيخ محمد تقي الشيرازي، والميرزا علي آغا الشيرازي، وآغا رضا الهمداني صاحب (مصباح الفقيه)، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (صاحب العروة)، والشيخ محمد حسين النائيني، والسيد حسين القمّي، وغيرهم...

وقد حضر البحث (الجماعي) للسيد حسين القمّي في مدينة كربلاء المقدّسة، وكان البحث يضم جمعاً غفيراً من العلماء كالسيد محمد هادي الميلاني والحاج الشيخ محمد رضا الأصفهاني والسيد زين العابدين الكاشاني والشيخ يوسف الخراساني وغيرهم، وبعد وفاة السيّد القمّي استقل بالبحث والتدريس.

مرجعيته

تولى المرجعية بعد وفاة آية الله العظمى السيد حسين القمي قدس سره عام ١٣٦٦هـ فأخذت مرجعيته بالتوسع والانتشار، وكان المرشح للمرجعية العليا بعد الإمام السيد حسين البروجردي قدس سره إلا أن الأجل عاجله قبل ذلك فتوفي في ٢٨ شعبان عام ١٣٨٠.

جهاده

اشترك في الأحداث التالية:

ثورة العشرين الشهيرة، نهضة آية الله العظمى القمي رحمه الله حيث سافر لأجل إرجاع الأمور الدينية إلى نصابها، أصدر الفتوى ضد الشيوعية التي أرادت غزو العراق في السنوات الأخيرة، أوقد أول شعلة الكفاح بإقامة المهرجان العالمي السنوي بمناسبة ميلاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة كربلاء المقدسة ثم تبعته مدينة النجف الأشرف والحلة وبغداد وسامراء وغيرها.

من تلامذته

الأعلام: الشيخ محمد الكرباسي، والشيخ عبد الرحيم القمي، والسيد مرتضى الطباطبائي وغيرهم.

مؤلفاته

١. شرح لم يكتمل على العروة الوثقى.
٢. رسائل في مباحث أصولية.
٣. رسالة في التجويد.
٤. رسالة حول فقه الإمام الرضا عليه السلام.
٥. كشكول في مختلف العلوم.
٦. الدعوات المجربّات.
٧. هدية المستعين في أقسام الصلوات المندوبة.
٨. رسالة في الجفر.
٩. أجوبة المسائل الاستدلالية.

أما ما برز من آثاره إلى الطبع:

١٠. ذخيرة العباد.
١١. ذخيرة الصلحاء.
١٢. الوجيزة.
١٣. تعليقة على العروة الوثقى.
١٤. تعليقة على وسيلة السيد أبو الحسن الأصفهاني.

القسم الأول: والدي ١١

١٥. بداية الأحكام.

عالم البرزخ

نقل السيد الوالدﷺ أنه كان في مدينة سامراء مريض مبتلياً بمرض الملاريا؛ فاشتد عليه الداء بحيث لا تنفعه الأدوية، فجاء طبيب إلى مدينة سامراء وراجعه فقال: إن علاجه الوحيد هو أن تلدغه عقربتان على يديه، وكان الوقت شتاء فلم يكن في ذلك الوقت عقارب إطلاقاً، فقال رجل: إني آتيكم بالعقرب بعد قليل، فقالوا: من أين؟ قال: أعرف من أين، فذهب وبعد ساعات عاد إليهم بقارورة مملوءة عقارب، فتعجب الكل من هذا الموقف وسألوه: من أين جئت بهذه العقارب؟ قال: إني سمعت الوعاظ يقولون إن قبر الفساق يمتلأ بالثعابين أو العقارب، وقد مات قبل يوم شخص فاسق فدفن في محل خاص من المقبرة وذهب إلى قبره وثقبته ثقبة ووضعت فوهة القارورة على تلك الثقبة مباشرة فخرجت هذه العقارب وجئت بها إليكم.

أقول: إن امتلاء القبر العقارب أو الثعابين هو أمر معنوي، يعني العقارب والثعابين المرتبطة بعالم البرزخ، لكن أحياناً يُظْهِر الله سبحانه شيئاً منها للعيان حتى يصدق في هذا العالم أيضاً، والقصص المشابهة لهذه الحادثة كثيرة.

ويروي التاريخ أن جماعة كانوا عازمين للحج و قرب مكة المكرمة مات أحدهم فغسلوه و حنطوه و كفنوه وصلوا عليه ثم احضروا حفيرة فوجدوا أنها ممتلئة بالثعابين فتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً لأن المكان ليس من أماكن تواجد الثعابين، لكنهم اضطروا أن يحفروا حفيرة ثانية فوجدوها

كذلك ممتلنة بالثعابين فازداد تعجبهم، وحفروا حفرة ثالثة ورأوا أن الحفرة الثالثة كالأوليين ممتلئة بالثعابين، فلم يقبروا الميت وذهبوا به إلى ابن عباس، وكان ابن عباس في ذلك الوقت في مكة فعرضوا عليه القصة، فقال: ماذا كان عمل صاحبكم؟ قالوا له: إنه تاجر، فسألهم، وهل كان يرابي؟ قالوا: نعم كان يرابي، قال: لابدّ و أن يمتلئ قبره ثعابين في عالم البرزخ وقد أراكم الله ذلك، ولو حفرتم له ألف قبر لكان كل قبر ممتلئاً بالثعابين، فرجعوا و دفنوا ذلك الميت في تلك الحفر على الثعابين الممتلئة فيها.

وهكذا ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث سئل عن رجل دفنوه فادعى عبده أنه كان يلوط به، فارسل عليّ من نبش القبر فلم يجدوا جثة في القبر، فقال علي عليه السلام: «إن في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله أن اللاطي لا يوضع في قبره وإنما يلتحق بجهنم»، وكلام هذا العبد دليل على صدقه.

أقول: ذهب جماعة إلى أن آخر آية نزلت في القرآن الكريم هو قوله سبحانه: ﴿**وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾[1] حتى يكون الإنسان على استعداد كامل للمحاكمة الإلهية إن خيراً فخير و إن شرّاً فشر، فإنه يجازى العمل بمثله، والمثل إنما يكون بتجسيم الأعمال واقعياً كما هو المشهور.

١ـ سورة البقرة: ٢٨١.

فوجدوا ما عملوا حاضراً

نقل الوالد رحمه الله: أنه كان في مدينة النجف الأشرف تاجراً يقرأ المجالس الحسينية خلال الأيام العشر الأولى من شهر المحرم الحرام، وفي ليلة العاشر يطعم الناس، وجاء مرة يوم التاسع إلى مدينة كربلاء المقدسة للزيارة؛ فأوصى أولاده أن يعملوا كما كان يعمل من الإطعام العام، وعين لهم الأشياء المحتاج إليها في الإطعام من الأرز و السمن ولحم الضأن وما أشبه، وفي تلك ليلة رأى الإمام الحسين عليه السلام في المنام و كان عليه السلام جالساً في إيوانه المقدس في الصحن الشريف وملك يكتب والإمام عليه السلام يمضي على ذلك كل ما صرف لأجله وفي محبته حتى وصل الأمر إلى هذا التاجر، فسجلوا له كم من الأرز وكم من السمن و كم من لحم الضأن وكم من لحم البقر فتعجب التاجر حيث أنه لم يكن في برنامجه لحم البقر. ولما رجع إلى النجف الأشرف سال أولاده عما فعلوه فبينوا له التفاصيل كما قاله الإمام الحسين عليه السلام في المنام لكنهم لم يذكروا شيئاً عن لحم البقر، فقال: إنكم طبختم مقداراً من لحم البقر، قالوا: كلا و من قال ذلك؟! قال: الإمام الحسين عليه السلام أخبرني، ونقل لهم القصة، عند ذلك أقروا و قالوا: إن طباخنا قال: لحم الضأن و لحم البقر لا يختلفان فاشترى لحم البقر لأن لحم البقر أقل سعراً.

إن الشيء الذي يقدمه الإنسان من خير أو شر، كبير أو صغير للإمام الحسين عليه السلام و لغيره مما هو مرتبط بالله سبحانه يسجّل، كما قال سبحانه في

كتابه الحكيم: ﴿**وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ**﴾[١]، وقال عزوجل: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾[٢] وفي آيه اخرى يعرض ما يقوله الإنسان في الآخرة لنفسه: ﴿**يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**﴾[٣].

فقد قال القرآن الحكيم: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[٤].

التاجر البخيل

وبهذه المناسبة نروي قصة أخرى حول قراءة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام و ملخصها أن السيد صالح الحلي[٥] كان يقرأ العزاء الحسيني في

١ـ سورة ق: ٤.

٢ـ سورة فصلت: ٤٢.

٣ـ سورة الكهف: ٤٩.

٤ـ سورة الزلزلة: ٧و٨.

٥ـ السيد صالح بن السيد حسين الحلي النجفي؛ عالم فاضل و خطيب شهير ولد في الحلة عام (١٢٨٩هـ) ثم هاجر إلى النجف الأشرف فأتم قراءة سطوح الفقه و الأصول على لفيف من العلماء وأهل الفضل، ثم حضر على الشيخ آغا رضا الهمداني و الشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد كاظم الخراساني وغيرهم.. توفي ليلة السبت (٢٩/شوال/١٣٥٩هـ) ودفن في وادي السلام.

منزل أحد التجار، فحضر السيد صالح المنبر في الليلة الأولى والثانية من شهر محرم ولكن في الليلة الثالثة لم يحضر، ولما فتشوا عن السيد رأوه موجوداً في مدينة النجف الأشرف و لم يكن مسافراً و لا مريضاً و ما أشبه، فتعجب التاجر من الأمر فذهب إليه وقال له: لماذا لم تأت و كان الناس ينتظرونك؟ قال: لا آتي إليك أبداً، وكلما أصرّوا على السيد صالح الحلي على الحضور امتنع، فذهب صاحب المجلس إلى السيد كاظم الطباطبائي[1] رحمه الله، وقال له: أرجو منكم أن تحضروا السيد صالح و تسالوه عن سبب عدم مجيئة لمجلسي فان ذلك يوجب انكساري عند الناس و تدمير سمعتي.

فاحضره السيد كاظم رحمه الله وقال له: لماذا لا تحضر مجلس العزاء؟ إحضر، قال السيد الصالح: لو أمرتني أنت فأنا مستعد للحضور لكن لي قصة وهي أني رأيت في المنام بعدما ذهبت إلى المجلس ليلتين متواليتين، الإمام الحسين عليه السلام وقال لي: لا تحضر هذا المجلس ولا تقرأ العزاء عند هذا التاجر لأنه جعلني بمنزلة الفقير، حيث يشتري الشاي و السكر غير الجيدين و ما أشبه للمجلس، ولست بفقير حتى أحتاج إلى مثل هذه الأمور!، عند ذلك التفت السيد كاظم الطباطبائي رحمه الله إلى السيد صالح وقال: إذن إذا أمرك الإمام

١ـ السيد محمد كاظم ابن السيد عبدالعظيم الطباطبائي اليزدي النجفي المعاصر؛ ولد في سنة (١٢٤٧هـ)، من مؤلفاته (حاشية على مكاسب الشيخ الأنصارى) مطبوعة و رسالة عملية كبرى كثيرة الفروع اسماها (العروة الوثقى) و.. توفي في داره بمحلة الحويش من النجف قبيل الفجر من ليلة الثلاثاء (٢٨/رجب/١٣٣٧هـ).

الحسين عليه السلام بعدم الحضور لهذا المجلس فلا تحضر وإني لا أتجرأ أن أقول لك إحضر المجلس مرة أخرى، وهكذا ساءت سمعة التاجر و مجلسه بسبب هذه الرؤيا الصادقة و لم يحضر السيد الكاظم رحمه الله المجلس أيضاً.

آثار العزاء الحسيني

وهناك قصة لطيفة نقلها لي السيد الشجاع[١] المعروف، وكان من خطباء كربلاء المقدسة بعد أن خرج من إيران متوجها إلى العراق و عزم على البقاء في كربلاء وفي جوار الإمام الحسين عليه السلام إلى أن وافاه الأجل.

قال: لما قدمت من إيران قاصداً كربلاء المقدسة وكنت سامعاً بمنبر السيد جواد وصفاته الأخلاقية المتمثلة بقوته وإخلاصه فاشتقت إلى حضور مجلسه، وذات يوم و قبل أن أذهب إلى الحرم الشريف أو أن أعمل أي شيء اخر سمعت أن السيد جواد الهندي[٢] يقرأ في أحد بيوت منطقة (باب الطاق)

١ـ السيد إسماعيل شجاع الواعظين؛ ولد في كربلاء و لم تعرف سنة ولادته و درس على كبائر العلماء مختلف العلوم كان مؤمناً صالحا يركز اهتمامه في قضايا الناس و أمورهم.

٢ـ الخطيب الحسيني السيد جواد بن السيد محمد علي الحسيني الهندي الحائري المولود في كربلاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، نشأ و ترعرع في ظل أسرة علوية شريفة، تنتسب إلى الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) درس على

فذهبت إلى هناك ودخلت المجلس الذي كان محتشداً بالمعزين، وهم ينتظرون قدوم السيد جواد الهندي و ارتقائه المنبر وما كنت رأيت السيد في حياتي من قبل، فذهبت و جلست مع الناس، وأخذتني سنة من النوم فرأيت أن السيد الهندي دخل وصعد المنبر وقرب رأسه فرشت قطعة سجاد، وجاء النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين و فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجلسوا عليها ثم شرع السيد في قرائته للعزاء الحسيني ولما وصل إلى ذكل المصيبة والمقتل، رأيت أن مولاتي فاطمة عليها السلام ـ و أنا في المنام ـ أشارت إلى السيد الهندي أن اقرأ مصيبة علي الأكبر فامتثل لأمرها، وفي هذه الأثناء رفع الناس أصواتهم بالصلاة على محمد و آل محمد فانتبهت من غفوتي ورأيت السيد آخذا في المجيء فرأيته في يقظتي كما رأيته في عالم الرؤيا بنفس الشكل والمواصفات فدخل وارتقى المنبر وأخذ يقرأ نفس الأشعار التي سمعتها وأنا في عالم الرؤيا حتى وصل إلى (الكريز)[1] وإذا به يسكت هنيئة ثم قال: ألهمت بان اقرأ عن مصيبة على الأكبر وشرع فيها..، ولكنني لم أر قطعة السجاد ولا المعصومين عليهم السلام، ولكنني ايقنت بعلوّ مقام السيد الحلي.

العالم الشيخ زين العابدين الحائري (السيد جواد الهندي) والسيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني، توفي في سنة (١٣٣٣هـ) ودفن في الروضة الحسينية بكربلاء.

١ـ الكريز: كلمة فارسية تعني (الفرار) لغة، وقد اصطلح بادئ الأمر بين خطباء المنبر الحسيني الفارسيين لمفهوم الانتقال الفني في الخطابة من موضوع البحث إلى قراءة المقتل وذكر المصيبة ثم انتشر تدريجياً بين عامة الخطباء الحسينيين.

قال السيد إسماعيل الشجاع: ومن ذلك الحين اعتقدت بفخامة منزلة السيد جواد الهندي كثيراً وعرفت أنه محفوف برعاية أهل البيت عليهم السلام.

الاحتياط في الأموال

بعد وفاة السيّد أبي الحسن رحمه الله[1] والحاج حسين القمّي رحمه الله[2] انتقلت مرجعية التقليد إلى الوالد رحمه الله وأخذ يقدّم الرواتب لشهرية لطلبة الحوزة العلمية؛ فتقدم إليه رجل بعد إتمامه صلاتي المغرب والعشاء وقال للوالد:

١ـ السيد أبوالحسن بن السيد محمد بن السيد عبدالحميد الموسوي الأصفهاني النجفي؛ ولد سنة (١٢٨٤هـ) في بعض قرى أصفهان، من مؤلفاته رسالته العملية (وسيلة النجاة) وحاشية على العروة الوثقى للسيد اليزدي الطباطبائي و...، توفي في (٩/ذي الحجة/١٣٦٥هـ) في مدينة الكاظمية ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف.

٢ـ السيد آغا حسين بن السيد محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القمي الحائري؛ من أجلاء العلماء ومشاهير المراجع، ولد في قم في عام (١٢٨٢هـ) وقرأ المقدمات في مدينته ثم تشرف إلى العتبات المقدسة زائراً ومنها رجع إلى ايران فسكن طهران فقرأ المقدمات والسطوح ثم حج بيت الله وعاد إلى العراق، بقي في النجف ثم ذهب إلى سامراء فحضر بحث المجدد الشيرازي، وفي سنة (١٣٠٦هـ) عاد إلى طهران فاشتغل بالعلوم العقلية والعرفان والرياضي على فلاسفة عصره، وفي سنة (١٣١١هـ) هاجر إلى النجف لتكميل العلوم الشرعية فحضر أبحاث الميرزا حبيب الله الرشتي والمولا علي النهاوندي والكاظمين الخراساني واليزدي وغيرهم، ثم هاجر إلى سامراء فحضر أبحاث

إنّي كنت مديوناً للحقوق سبعة عشر ألف دينار، وكان المبلغ ذلك الوقت يفوق الراتب الشهري الذي كان يقدّمه الوالد لطلبة الحوزة العلمية لثلاث سنوات، ولكن الوالد أشكل في أخذه لوجود شبهة شرعية فيها، فأصرّ الرجل عليه وأصرّ الوالد على عدم استلام الأموال وكان وهو في طريقه من باب الصحن الشريف إلى البيت، وأخيراً يأس الرجل، ورجع، فلمّا ذهب قلت للوالد: إنّكم لم تعطوا الراتب الشهري للطلبة، وكان المبلغ كافياً لأن يكون راتباً شهرياً للطلاّب! فتوجّه إليّ الوالد وقال: يجب علينا أن نفكر في آخرتنا، كيف نجيب الله سبحانه عن كل تصرفاتنا.

الميرزا محمد تقي الشيرازي عشر سنين. وفي سنة (١٣٣١هـ) هبط مشهد الرضا عليه السلام وتصدى للتدريس والإمامة ونشر الأحكام فكانت له المكانة العظيمة في نفوس جماهيرها رجع الناس إليه في التقليد، ونشرت رسالته العملية وكانت تأتيه الاستفتاءات من سائر أنحاء إيران، حدثت بينه وبين رضا شاه البهلوي النفورة بسبب عداء الأخير للعلماء ونزع الحجاب وإماتة السنة وإحياء البدع ونشر اللادينية، ثم هاجر إلى العراق وعزم على الإقامة فيه فسكن كربلاء وأقبل عليه الناس وبعد وفاة السيد أبوالحسن رشح للزعامة العامة وما إليه الناس في العراق وايران إلا أن الأجل لم يمهله حيث مرض وحمل إلى بغداد فتوفي بها في المستشفى يوم الأربعاء (١٤/ربيع الأول/١٣٦٦هـ)، ونقل إلى النجف ودفن بها. (نقباء البشر: ج٢ ص٦٥٣)

حفظ القرآن وقراءته

كان الوالد رحمه الله حافظاً للقرآن يقرأ كل يوم جزءاً منه بعد أذان الصبح والصلاة، وذات مرة ونحن في طريقنا من مدينة النجف الأشرف إلى مدينة كربلاء المقدسة من الطريق العلوي، وفي أثناء الطريق تعطلت السيارة فجأة فقال السائق إن وقود السيارة قد نفد فيلزم أن ننتظر في مكاننا حتى شروق الشمس ومرور السيارات لأن الطريق لا تعبر فيه السيارات ليلاً، وأخذ الوالد في المشي حتى الصباح، لكني بقيت في السيارة لشدة البرد، وفي الصباح سألته: لماذا لم تنم الليلة؟ وكانت ليلة شديدة البرد، قال: سنحت لي هذه الفرصة بأن أقرأ ثمانية أجزاء من القرآن الكريم مما أحفظ.

من أخلاقه السامية

وكان والدي رحمه الله يكنس غرفته بنفسه ولا يأذن لأحد أن يكنسها غيره لأن في ذلك تكليفاً كما كان يقول، كما وأنه كان يغسل ثيابه بنفسه.

من طلب العلا سهر الليالي

قال لي الوالد رحمه الله ذات مرة: كنت في الليالي أذهب إلى القبو المقدس منذ الساعات الأولى لليل وحتى إقبال الصباح أجلس هناك بمفردي وأغلق الباب على نفسي واشتغل بقراءة القرآن والدعاء والصلاة وما أشبه ذلك فإذا أصبح الصباح وأديت صلاة الفريضة أخرج من القبو قاصداً بيتنا.

كان ذلك في أيام وحدته قبل زواجه.

العتبات المقدسة

نقل لي الوالد رحمه الله أنه عندما خرجنا من سامراء قاصدين مدينة الكاظمية المقدسة، ومكثنا فيها لفترة ستة أشهر.

بعد ذلك حيث أمن الطريق توجهنا إلى النجف الأشرف وسكنّا هناك إلى أن خرج الوالد منها قاصداً كربلاء المقدسة عند مجيء السيد القمي رحمه الله إليها وبطلب منه.

بالطبع بقي الوالد رحمه الله في هذا الوسط مدة في كربلاء يتتلمذ عند خالي الشيخ ميرزا محمد تقي رحمه الله قائد ثورة العشرين ورافقه أيضاً في قيادة تلك الثورة.

التوكل على الله

نقل لي الوالد رحمه الله أنه لما خرج من سامراء وكان حينها قد حمي وطيس الحرب بين العراقيين والبريطانيين، وقد منع البريطانيون من إخراج المواد النحاسية لأن النحاس كان يستخدم في صنع الأسلحة، قال: خرجت من سامراء قاصداً كربلاء المقدسة وأنا محمّل من بيتنا وبيوت العوائل الأخرى بأواني ومواد نحاسية كثيرة، أحملها على دواب وكان ينبعث منها الصوت أثناء الحركة في الطريق كما هو شأن النحاس المحمل على الدابة، ولما وصلت جسر بغداد ، وكان الجسر محفوفاً بالشرطة يفتشون أمتعة الناس ـ أخذت أقرأ هذا الدعاء حتى أتخلص منهم ومن كيدهم والدعاء هو:

«اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وأهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين، الله فذلل لي صعوبتها وحزونتها واكفني شرّها فإنك الكافي المعافي والغالب القاهر».

وهذا دعاء أمير المؤمنين عليه السلام علّمه ذلك الرجل الذي جاء إليه يشتكي إبله في قصة مشهورة مذكورة في البحار[1].

قال الوالد رحمه الله: ولما مررت على مركز التفتيش في الطرف الثاني وهو حشود متجمعة لم يتوجهوا إليّ إطلاقاً، وأخذت ما معي على الدواب بسلام ولم يكن ذلك إلاّ من بركة هذا الدعاء.

١ـ راجع بحارالأنوار: ج٩٢ ص١٩١ ب١٠٦ ح٢٠، وفيه: (عن ابن عباس قال: كان رجل على عهد عمر وله إبل بناحية آذربيجان قد استصعبت عليه فشكا إليه ما ناله وأن معاشه كان منها فقال له: اذهب فاستغث بالله تعالى، فقال الرجل: ما زلت أدعو الله وأتوسل إليه وكلما قربت منها حملت عليَّ... قال ابن عباس: فمضيت به إلى أميرالمؤمنين عليه السلام فتبسم ثم قال: ألم اقل لك. ثم اقبل على الرجل فقال له: إذا انصرفت إلى الموضع الذي هي فيه فقل: «اللهم إنّي أتوجه إليك بنبيك....»، قال فانصرف الرجل راجعا فلما كان من قابل قدم الرجل ومعه جملة من المال قد حملها إلى أميرالمؤمنين وصار إليه وأنا معه فقال عليه السلام: تخبرني أو أخبرك؟. فقال الرجل: ياأميرالمؤمنين بل تخبرني. قال عليه السلام: كأني بك وقد صرت إليها فجاءتك ولاذت بك خاضعة ذليلة فأخذت بنواصيها واحدة واحدة. فقال الرجل: صدقت يا أميرالمؤمنين كأنك كنت معي، الخبر. ⇦

وإني ـ المؤلف ـ أيضاً جربت هذا الدعاء في وقت الأزمات فانفرجت جميعها بإذن الله سبحانه.

الملاريا

في مدينة النجف الأشرف ابتلى الوالدﷺ بالملاريا الشديدة.. وكان مرضاً صعب العلاج في ذلك الوقت، وأخيراً نصحه أحد الأطباء بالتوجه إلى مدينة شيراز والبقاء فيها لمدة حتى تمام الشفاء، فقصد شيراز عن طريق مدينة بوشهر، قال: وفي بوشهر زارني العلماء.. وطلب مني جمع من المؤمنين أن ارتقي المنبر وأن أصلّي بهم صلاة الجماعة في شهر رمضان فقط، قال: ففعلت ذلك، وكنت أبيّن لهم أحكام المسائل الشرعية لكن بدون إشارة إلى رأي أحد العلماء وإنما تلوت المسائل المجمع عليها، قال: فصار الإقبال على المسجد شديداً فتعلم آخرون وأخذوا يبينون المسائل الشرعية من على المنابر خلال شهر رمضان.

ثم إني خرجت من ذلك البلد وقد رأيت فيه شيئين ظريفين: منها أن الطقس كان حاراً جداً فكنت إذا زرت العلماء هناك رأيت بعضهم جالسين في خاوية ماء بسبب الحر الشديد ومجالسهم بالرغم من ذلك كانت مكتظة بالمراجعين.

عالم الجن

البيت الذي سكن الوالدﷺ فيه بعد رجوعنا من النجف الأشرف يقع في زقاق (المائية) وهو نفس البيت الذي ولد فيه وكان دار (قاسم البقال) بفاصل دار من دارنا إلى طرف الشرق فنقل لي الوالد قوله:

في أيام وجودي في كربلاء المقدسة وقبل ذهابنا إلى سامراء كنت اسمع صوت الجن من قبو هذا البيت يبكون وينوحون على الإمام الحسين عليه السلام في الليالي العشر الأولى من شهر محرم الحرام.

أقول: إن وجود الجن حقيقة واقعية وقد سمعهم ورآهم كثير من الناس الذين التقيت بهم بنفسي سواء في مدينة كربلاء المقدسة أو في الكوفة أو في قم، وقدم إلي ذات مرة شاب وأنا في الكويت وكان عليه سيماء الوجاهة وكانت تبدو عليه آثار المرض وأراني بعض مواضع جسمه وكان فيها آثار حروق متعددة من رقبته حتى قدمه، وقال لي: إنه كان عاملاً لبنانياً يعمل في مسيرة (مسيرة بيدش) وهو من فنادق الدرجة الأولى في الكويت وموجود إلى الآن، ومنذ مدة تأتيني جنية جميلة وهذه الآثار منها، وقد ذهبت إلى جماعة من الأطباء فاستهزؤوا بي وضحكوا ولم يعالجوني، وذهبت إلى جماعة يكتبون الأدعية فأعطوني أدعية لكنها لم تنفع، ولما سمعت بك، جئت إليك لآخذ منك دعاء لعلاج هذه الحالة.

قلت: لا بأس، فكتبت له أدعية وآيات قرآنية مثل (آية الكرسي) و(القلاقل الأربع) وما أشبه ذلك وقدمتها له وقلت له احتفظ بها في يدك اليمنى واسأل الله أن يزيل هذا الكرب عنك، وبعد مدة عاد إلي وهو مستبشر وأراني جسمه وآثار الحروق قد قلّت لدرجة كبيرة، قال: من الليلة التي حملت هذا الدعاء لم تأتني تلك الجنية والحمد لله رب العالمين فبدأت بالتحسن، ثم قدم لي نقوداً كثمن لما عملت له، لكني أبيت الأخذ وكلما أصر

لم آخذ وقلت له: لعلّي إذا أخذت المال تذهب فائدة الدعاء وتعود الجنية إليك، ولذا خاف وامتنع عن الإعطاء وانصرف.

حفظه القرآن في الليالي

ونقل الوالد رحمه الله انه كان يحفظ القرآن في كل ليلة، وذلك لانشغاله نهاراً بالدراسة، وعند المساء لأنه لم يتمكن في سامراء من شراء الوقود للإضاءة فكان يحفظ القرآن مستعيناً بضوء القمر حتى أتم حفظ القرآن الكريم بتلك الصورة، وكان حافظاً له حتى انتقاله إلى جوار ربه.

قال رحمه الله: وابتليت بسبب كثرة القراءة في ضوء القمر إلى إصابتي بمرض العشو الليلي، فلم أتمكن من الرؤية إلا في النهار، فنذرت للسيد محمد[1] إذا تَّم شفائي بإذن الله أزوره كل عام مرة وأهدي إلى مرقده الشريف رزمة من الشموع، فشافاه الله.

---

١ ـ السيد محمد المكني بأبي جعفر فهو المعروف بجلالة القدر وعظم الشأن وكفى في فضله قابليته وصلاحه للإمامة، وكونه أكبر ولد الإمام الهادي عليه السلام، وزعم الشيعة أنه ⇦ الإمام بعد أبيه لكنه توفي قبل أبيه فقال الإمام الهادي عليه السلام بعد وفاة محمد لابنه الحسن العسكري عليه السلام: يا بني أحدث لله شكراً فقد أحدث فيك أمراً ـ أي جعلك إماماً بموت أخيك الأكبر قبلك ـ ومزار السيد محمد يقع في ثمان فراسخ عن سرّ من رأى قرب قرية بلد وهو من أجلاء السادة وصاحب كرامات متواترة حتى عند أهل السنة والأعراب، فهم يخشونه كثيراً ولا يحلفون به يميناً كاذبة ويجلبون النذور إلى قبره بل يقسم الناس بحقه

وكان ﵀ حتى أواخر أيامه يقوم بزيارة السيد محمد ليفي بنذره بعد أن ازدادت قوة بصره بشكل كبير جداً بحيث أنه كان يرى ساعة ضريح العباس عليه السلام من دارنا التي تقع قرب موضع الخيم في مدينة كربلاء المقدسة ويميز بين الأعداد، بينما أنا وفي أيام شبابي ما كنت أرى إلاّ هيكل الساعة فقط.

من زهده ﵀

ونقل لي الوالد﵀ أنّه في أثناء عطلة من العطل جاء إلى (السيّد محمد) راجلاً من مدينة سامراء، والمسافة بينهما ثمانية فراسخ، قال: إني لم آخذ إلا الخبز الجاف، فكنت آكل ذلك الخبز الجاف مع ماء البئر المر طيلة بقائي هناك ولمدة شهر كامل، واتفق أنّ أحد الأصدقاء جاء لي بقطعة من الجبن الجاف فكنت آكل في بعض الأوقات الخبز الجاف والجبن لأيام معدودة فقط..

⇨

في سامراء لفصل الدعاوي والشكايات، يقول شيخنا في كتاب (النجم الثاقب): ولقد رأينا مراراً أن المنكر لأموال شخص مثلاً إذا طلبوا منه القسم بأبي جعفر كان يردّ المال ولا يقسم وذلك لتجربتهم أن الكاذب لو حلف به يصيبه الضر.

قلّة النوم

ذات مرّة نصحني الوالد رحمه الله بأن أنام قليلاً، ثم قال: إني كنت في أيام شبابي في الليل والنهار لا أنام إلاّ ساعتين ونصف فقط وبقية اليوم كنت منشغلا بالقراءة والحفظ والمذاكرة وقراءة القرآن والأدعية وما أشبه ذلك.

وقد كان حافظاً لثمانية آلاف بيت من الشعر من جملتها: (الألفية) ومنها (قصيدة السيّد محمد باقر المسمّاة بالنجم الثاقب) وكذلك (مقاما ت الحريري) وغيرها كثير.

قال لي: كنت قليل النوم وكنت أقول لنفسي ستنام في القبر مدّة طويلة جداً فأقلل من نومك وأخر النوم للقبر.

حسن الخلق

كان الوالد رحمه الله راقياً في كرم أخلاقه وحسن معاشرته، لا يردّ الإساءة بمثلها، وقد كتب إليه ذات مرّة شخص رسالة خاطبه فيها بـ(أيها اليهودي)!، فتأثّر من الكتاب ولكنه لم يقل شيئاً ولم يرد عليه ولا بكلمة.

من كرامات العباس عليه السلام

قال لي المرحوم الوالد ذات مرة: كنت ماشياً في شارع الإمام علي عليه السلام بالقرب من حمام البغدادي فتوجهت إليّ رصاصة لكن من حسن الحظ أن الرصاصة مرت بالقرب من أذني ولم تصبني بأذى، وذلك في أيام رمي العثمانيين للأهالي العزّل الآمنين في مدينة كربلاء المقدسة بالرصاص.

وقد نقل لي جماعة من الثقاة أنه وفي تلك الأيام حيث تقدم الجيش العثماني إلى مدينة كربلاء المقدسة وبالقرب من مرقد العباس عليه السلام هجموا على الأهالي وقتلوا منهم مجموعة من الأبرياء ثم خرجت من القبر الشريف.. من القبة الشريفة نار، توجهت إلى ذلك الجيش فانهزموا جميعاً وهم يقولون (إمام عباس گلدي) أي جاء الإمام العباس.. وحفظت كربلاء من العثمانيين ببركته عليه السلام وغن كانوا قد أوسعوا فيها قدراً من الفساد..

صفاء القلب وطهر النوايا

ونصحني الوالد رحمه الله ذات مرة في جملة من نصائحه، فقال: إذا ظهرت أعمالي في يوم القيامة أمام الناس يجب أن تكون خفايا قلبي مطابقة لظاهر عملي، فإن رأى الناس تلك الأعمال قالوا: إنّ ما كنّا نراه منه في الدنيا لهو بمثل ما نراه الآن، بلا زيادة أو نقيصة.

طي الأرض

نقل لي بعض الثقاة أنه رأى والدي رحمه الله بين مدينتي النجف وكربلاء في الصحراء وحيداً يمشي فتعجب من الأمر وتساءل عن كيفية مجيئه إلى هنا والصحراء مقفرة بدون سيارة ولا وسيلة لنقله، قال: وبعد وصولي إلى مدينة كربلاء المقدسة ـ وأنا طول الطريق كنت راكباً السيارة ـ رأيته في كربلاء!.

تذكرة القبر

نقل لي بعض الثقاة أن الوالدرحمه الله كان يذهب إلى المقبرة ويدخل قبراً خالياً وينام فيه ويتذكر القبر وأحواله ويفترض أنّه ميت ثم يقول بصوت عال: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّى أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾[1] ويبقى لفترة من الزمن على هذا الحال ثم يخرج من القبر ويعتبر نفسه قد عاد إلى الحياة فيعمل لآخرته ما ينجّيه.

التربة الحسينية

وصّى الوالدرحمه الله أن تُدفن معه تربة حسينية كانت في حوزته، وكانت تلك التربة تصبح يوم عاشوراء كقطعة دم وفي اليوم الحادي عشر تعود إلى ما كانت عليه، وكما أوصى بأن يدفن معه القرآن الصغير الذي كان يحفظ فيه القرآن أيام شبابه.

وعملنا بوصيته في الأمرين فدفنت معه التربة الحسينية موضوعة على صدره، والقرآن الكريم عند رأسه.

التصدي للانحرافات السياسية والاجتماعية

في كربلاء المقدسة أيام المدّ الشيوعي طغت الشيوعية تحت لواء عبد الكريم قاسم، وكان عبد الكريم قاسم بريطانياً لكن الشيوعيين اعتمدوا عليه في مواجهة جمال عبد الناصر الذي كان مرتبطاً بالاستعمار الأمريكي، وذلك

---

١ ـ سورة المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠

لمنع سيطرة عبد الناصر على العراق، وفي تلك الفترة فعل الشيوعيون الأفاعيل العجيبة في العراق وقد أشرنا إلى بعض أفعالهم في كتاب (مباحثات مع الشيوعيين) فاجتمع العلماء ومنهم السيّد الحكيم والوالد ـ قدس سرهما ـ وقرروا أن يصدّروا فتوى ضدّ الشيوعية فصدرت الفتوى المشهورة: (الشيوعية كفر وإلحاد) ونشروها في كافّة أنحاء العراق، ولهم تصوير في بيت الوالد، وردّاً على ذلك قرّر الشيوعيون اغتيال مائة وأربعة عشر شخصاً وكان من جملة أولئك الوالد رحمه الله، حيث كان له الدور المهم في محاربتهم بالفتوى والتحريض عليهم، كما كنت أيضاً من جملتهم حيث كنت أقوم ببعض نشاطات التوعية في ذلك، لكن الله لم يوفقهم، وقد قتلوا بعض الأشخاص الآخرين!.

وكان أهالي مدينة كربلاء قد اتهموا بمناسبة مولد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وأقاموا الاحتفالات العظيمة، وقد استعدوا لإحياء هذا الاحتفال منذ ثلاثة أشهر أو أكثر، وقد دعونا مئات الشخصيات الكبيرة سواء من التجار والعلماء والجيش وغيرهم، وصار احتفالاً مثالياً لعل مدينة كربلاء المقدسة لم تشهد مثيله قبل ذلك.. وقد ألقى في الاحتفال كبار علماء أبناء العامة ورؤوس علماء الشيعة وكان للسيد الحكيم قدس سره كلمة وحضر السيد الحكيم الاحتفال، لكن الوالد لم يحضر بنفسه الاحتفال لأنه ما كان يطيق الحضور.

ومنذ ذلك اليوم أخذت كربلاء المقدسة دوراً عظيماً في محاربة الانحرافات التي انتشرت في العراق متلبسة بوجوه مختلفة تارة باسم الشيوعية وتارة باسم القومية وتارة باسم البعثية.

كما قتل البعثيون من أهالي مدينة كربلاء الكثيرين لعل عددهم يفوق ثلاثة آلاف شخص في قضية الانتفاضة المشهورة وفي أيام الشيوعيين كانت تخرج في شوارع كربلاء مظاهرات لبعض النساء تمثل أبشع صور الوضاعة والانحلال وحيث رأى الوالد أن هذه الأوضاع لا تناسب وقدسية مدينة كربلاء أرسل إلى فؤاد عارف[١] وكان حين ذاك متصرفاً للواء كربلاء طالباً منع هذه المظاهرات النسائية فأجاب فؤاد عارف أنه لا شأن لرجل دين أن يتدخّل في الأمور السياسية، لكن الوالد ردّ عليه بأن هذه ليس أمراً سياسياً وإنما هي قضية تضرب صلب الدين باستهتار النساء في بلد مقدّس بالإضافة إلى ترديدهم الشعارات المخالفة للدين مثل قولهم:

بعـد شهر ماكو مهر ونذب القاضي بالنهر

وخاف المنصرف من إصرار الوالد فأمر بإيقاف تلك المظاهرات.

لكنهم التجؤوا إلى حيلة أخرى وهي ما أطلقوا عليه اسم (أنصار السلام)، فتوجهت بصحبة مجموعة من العلماء إلى بغداد للقاء نجيب الربيعي وعبد الكريم قاسم لمنع هذه المظاهرة، لكن عبد الكريم قاسم كان مصراً على استمرار هذه المظاهرة وبالفعل حدثت المظاهرة في مدينة كربلاء وولدت المآسي والمشكلات الكبيرة، وكان من شعارات المتظاهرين لأجل هذه الاحتفال ونحوه:

عيني كريّم للأمام ديمقراطية وسلام

---

١ ـ فؤاد عارف كان متصرفاً للواء كربلاء المقدسة من ١٩٥٨/٦/٢٢ إلى ١٩٥٩/٢/٩م.

في الوقت الذي لم يكن فيه العراق ديمقراطياً وليس فيه أي وجه من وجوه السلام كما هو معروف.

الحساب الدقيق

وقد رأى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي[1] رحمه الله ـ وكان معتمداً للوالد ومقسماً للرواتب الشهرية ـ المرحوم الوالد في عالم الرؤيا بعد مضي أسبوع

---

١ ـ آية الله الحجة الشيخ محمد بن أبي تراب (علي) الكرباسي؛ ولد في مدينة النجف الأشرف في ثالث من ذي الحجة عام (١٣٢٤هـ) في بيت التقى والفضيلة ونشأ في جو مفهم بالولاء، اختار مدينة أصفهان مقراً له وذلك عام (١٣٣٨هـ) لكنه لم يتمكن من مواصلة البقاء فيها فسكن سامراء المشرفة حيث الجو أكثر اعتدالاً ثم شعر بأنه لا يستغني عن مركز العلم (النجف الأشرف) فعاد إليها بعد عام من سكناه في سامراء فنصحه الأطباء ثانية بمغادرة النجف الأشرف وعندها اختار كربلاء المقدسة فحلّ فيها عام (١٣٥١هـ) حيث كانت الحركة العلمية نشيطة، كان فيها آيات الله العظام منهم: الشيخ علي الشاهرودي (١٣٥١هـ) والسيد أبوالقاسم الطباطبائي (١٣٦٢هـ) والسيد عبدالحسين الحجة (١٣٦٣هـ) والسيد محمد هادي الخراساني (١٣٦٨هـ) فنال قسطاً كبيراً من المعرفة على أيديهم، وكان عضواً مؤسساً ورئيسياً في مدرسة الإمام الصادق عليه السلام الإبتدائية والتي تأسست عام (١٣٧٥هـ) برعاية المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي قدس سره، حلّ في طهران عام (١٣٩١هـ) وأمضى هناك حوالي السنة، منتظراً العودة إلى بلاده ولكن دون جدوى، فانتقل منها إلى مدينة قم المقدسة والأمل لا يفارقه

من رحيله فقال له الوالد رحمه الله: قل لمحمد ـ أي أنا ـ لم تصل إليّ الأمانة، فذكر لي الشيخ الكرباسي ما رآه في المنام فتعجبتُ حيث أني أوصلت الأمانة إلى أصحابها، وبعد تفكر وتفحّص وجدت عباءة زهيدة الثمن أُهديت للوالد لأجل التوزيع فعلمت أنها المقصودة بالأمانة وكانت موجودة في دارنا، فلذا أعطيت العباءة للشيخ محمد الكرباسي لكي يوزعها على الطلبة، وبعد ذلك رأى الشيخ في المنام الوالد مستبشراً وقال له: قل لمحمد أن الأمانة قد وصلت، مما تبين لي أن الوالد رحمه الله كان منزعجاً من عدم وصولها إلى أصحابها.

الأدب والشعر

كان الوالد رحمه الله ناظماً متميزاً للأشعار الجميلة، منها قصيدة حول فاطمة الزهراء عليها السلام، وقصيدة أخرى حول الإمام المهدي عليه السلام وغيرهما..

الشعائر الحسينية

كما كان يقوم بالعزاء الحسيني واللطم مع جماعة من طلبة الحوزة العلمية في سامراء، وكان يعقد المجالس الحسينية، وقد مرة كان الوالد ينصب السواد لعاشوراء على جدان الحسينية فسقط من السُّلّم الذي كان صاعداً عليه لكنه لم يصب بشيء، وقد رأت والدته ـ فيما نقل لي ـ أنه قيل لها: كيف

في العودة إلى وطنه إلا أن المنية كانت أقوى من الإرادة، إنها مشيئة الله تعالى التي لا رادّ لها، فكانت وفاته فيها في التاسع من جمادي الثانية عام (١٣٩٩هـ).

يصاب بأذى وقد تناولته الخمسة الطيّبة أصحاب الكساء عليهم السلام وهم الذين أنزلوه وكيف لمثله أن يصاب بمكروه.

الخط الجميل

كان والدي رحمه الله جميل الخط، وكان يكتب كل جمعة مشقاً من إحدى رسائل العم، السيد عبد الله[1] إليه، وكان السيد عبد الله آية في جمال الخط.

مواجهة الفساد

وذات مرة جاء إلى الوالد رحمه الله متصرف[2] لواء كربلاء المقدسة يطلب منه السماح بفتح دار سينما في مدينة كربلاء المقدسة، فامتنع الوالد ورفض بشدة.

فقال: إني أفتح السينما في منطقة (حي الحسين) وهو منفصل عن مدينة كربلاء.

قال الوالد: إنه جزء من كربلاء ولا أسمح لك بفتح السينما فيه مطلقاً.

---

١ ـ السيد ميرزا عبدالله الشيرازي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٣هـ) دفن في الروضة الرضوية بـ (صحن نو) في مدينة مشهد المشرفة (ايران)، ينقل عنه صاحب (منتخب التواريخ) وغيره.

٢ ـ أحد المتصرفين للواء كربلاء المقدسة فترة مرجعية الإمام الراحل الشيرازي التي استمرت خمسة عشر عاماً ـ ابتداءً من يوم وفاة المرجع الديني السيد حسين الطباطبائي القمي عام ١٣٦٦هـ واستمرت حتى توفّاه الله في ٢٨ شعبان ١٣٨٠هـ.

قال: أفتحه بحيث لا يكون في السينما الأمور المحرمة.

قال له الوالد: إنها كلمة أنت قائلها.

وأخيراً قال المتصرف: إني سأفتح دار السينما.

وقال الوالد: وإني سأمنع ذلك.

وأخيراً تيقن المتصرف أن الوالد مصر على أن لا يفتح السينما في مدينة كربلاء فامتنع عن تطبيق فكرته.

حفظ الآثار الإسلامية

وعندما كان متصرف مدينة كربلاء المقدسة وهو عبد الرسول الخالصي[١] عازماً على تخريب الآثار المهمة من أطراف الصحن متذرعاً بحجة إنشاء بعض الطرق، وقف أمامه السيد الوالد حتى لا يتمكن من تطبيق فكرته، وعطّل صلاته لأيام، لكن قرار الحكومة كان قطعياً، فتم تدمير الآثار العلمية والتاريخية والدينية في أطراف مدينة كربلاء المقدسة أمثال: (مسجد رأس الحسين عليه السلام) و(مدرسة الصدر) و(المدرسة الزينبية) و(مدرسة حسن خان) و(مقابر جملة من العلماء) و(الصحن الصغير)، وبعد هذه الحادثة حاول المتصرف عبد الرسول الخالصي أن يزور الوالد فامتنع عن قبول زيارته مطلقاً.

---

١ ـ عبد الرسول الخالصي كان متصرفاً للواء كربلاء المقدسة من ١٩٤٨/١٠/١٢م إلى ١٩٥٠/٦/١٣م.

دعوة السيد الحكيم

في أيام الشيوعيين تعرّض السيّد الحكيم‌ﷺ للإهانة في النجف الأشرف، فأرسل إليه الوالد‌ﷺ جماعة يدعونه إلى المجيء إلى مدينة كربلاء المقدّسة وإقامة الصلاة في مكان، وتلقّى السيّد الحكيم الطلب بالقبول وقدم إلى مدينة كربلاء، فاستقبلناه استقبالاً كبيراً وفخماً، وذهب الوالد إلى زيارته، وقدّم السيّد الحكيم شكره للوالد، ثم دعاه الوالد إلى إقامة صلاة الجماعة في مكانه، لكن السيّد الحكيم‌ﷺ أبى وأصرّ أن يصلّي الجماعة قرب مقبرة الميرزا الشيرازي شرقي الصحن، بينما الوالد يصلّي قرب الزينبية غربي الصحن، فأخذ السيّد يصلّي هناك والتفّ الناس حوله، وحين ذلك جاء عبد الملك مدير شرطة كربلاء إلى السيّد الحكيم والوالد وقال لهما: يجب أن تعلموا أنّ سياسة الحكومة هي الاهتمام بالشيوعيين وكبت من يخالفهم، وقد أمروني إذا حدثت منازعة بين شيوعي وغيره أن أحكم لصالح الشيوعي وإن كان الحق ضده، وأعتقل غير الشيوعي وإن كان الحق معه.

هكذا كانوا يفعلون وكما رأيت ذلك بنفسي، حيث إنّ الشيوعيين في حادثة (أنصار السلام) سرقوا ونهبوا الكثير من المتاجر الواقعة في شارع الإمام علي‌عليه‌السلام نهباً مروعاً عصر يوم واحد، وأخذت الحكومة أصحاب المتاجر وسجنتهم في مقابل ترك الشيوعيين وشأنهم، لكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد، فبعد ذهاب عبد الكريم قاسم ومجيء عبد السلام إلى الحكم كان ذلك تدميراً لأولئك الشيوعيين في مدينة كربلاء المقدسة وغيرها، فقتلوا رمياً بالرصاص أو بالنفخ في بطونهم حتى الموت.

مع البهلوي الأول

سافر الوالدﷺ إلى إيران لأجل استنقاذ ما تبقى من الإسلام فيها ما أفسده البهلوي الأول وتمكن في المشهد المقدس من استرداد الأوقاف إلى أصحابها، والوالدﷺ كان هو المباشر لتطبيق استرجاع الأوقاف.

وقد قال لي حينها: إن أوقاف مشهد ممتدة منه على هرات في أفغانستان، وكذلك ممتدة في طرف آخر إلى طهران، وممتدة في طرف آخر إلى مازندران وتشتمل مساحات كبيرة.

والأوقاف تشمل أيضاً: أوقاف للزائرين، وأوقاف للمساجد، وأوقاف للفقراء، وأوقاف حتى لكلاب القوافل من الزائرين وأوقاف للهررة.

وأوقاف كثيرة أخرى لكل أمر كبيرة أو صغير مثل: الأوقاف للزواج، والأوقاف للمرضى، والأوقاف لمن كسرت آنيته، وأوقاف للإطعام في مدينة مشهد المشرفة، وأوقاف للكتب، وغير ذلك مما هو كثير جداً.

كان ضحكه تبسماً

إني وإن عاشرت الوالدﷺ سنين متعددة لعلها تجاوزت ثلاثين عاماً، وصاحبته في سفره وفي الدار وفي الذهاب إلى الصلاة صبحاً وظهراً ومغرباً، إلاّ أنّي لم أره ولا حتى لمرة واحدة يضحك بصوت وقهقهة وإنما كان ضحكه غالباً بتبسم.

الحرب العالمية الثانية

في الحرب العالمية الثانية عانت الأسواق شحة في الكثير من المواد والسلع الاستهلاكية وفي مقدمتها السكر والأقمشة وما أشبه ذلك، اقتنع الوالد بما توفر من الأشياء، فكنا هو ونحن نتناول الشاي بالدبس أو بالتمر، كما أن الحرب استمرت حتى بليت الأشياء وارتفعت أسعار كل السلع، فالوالد استعاض عن القماشيات بما هو أدنى وكنا ننام على الدواصي.

التفكر الدائم بالآخرة

كان الوالد رحمه الله دائم التفكّر في الآخرة، يعرضُ كل شيء صغيراً أو كبيراً على الموازين الشرعية.

وإذا وعظ إنساناً كانت الآخرة نصب عينيه وكأنها ستحدث غداً وكما يعد بعضنا بعضاً بغد في داره أو غرفته أو ما أشبه.

ولم أره متأثراً تأثراً ظاهراً إلاّ مرة واحدة حيث سمع شيئاً مخالفاً للدين وتأثر تأثراً كبيراً جداً حتى أخذ يبكي.

زيارة العباس عليه السلام

كان المرحوم الوالد في أغلب الليالي ـ قبل إقامته لصلاة الجماعة في عهد المرحوم الحاج آغا حسين القمي يتوجه لزيارة حرم العباس عليه السلام

ويؤدي صلاته هناك، وكان يلتصق بالحائط ولم يكن مستعداً لأن يصلي خلفه أحد[١].

وكان يرى أن العباس عليه السلام باب إلى الإمام الحسين عليه السلام حيث يذهب بعد زيارة العباس إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام لأداء الزيارة.

عندما أهانه شخص

وذات يوم أهانه شخص إهانة كبيرة وتجاوز عليه بشكل كبير فقال رحمه الله: إنّه لا يعلم بأنّه قد ربط حبلاً على عنق نفسه وأعطى رأسه بيدي في يوم القيامة، واكتفى بذلك فقط.

من يذكركم الله رؤيته

كان الوالد رحمه الله مصداقاً لقوله عليه السلام: «من يذكركم الله رؤيته»[٢] وكان المؤمن إذا رآه أو جلس بين يديه يتذكر الله والدار الآخرة، من خلال تصرفاته، وأعماله وأقواله النابعة من اليقين الصادق.

---

١ ـ كان ذلك قبل أن يصبح إماماً لصلاة الجماعة.

٢ ـ راجع بحارالانوار: ج١٤ ص٣٣١ ب٢١ ح٧٢ وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (قالت الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله).

مداومة حضور مجالس العلماء

وكان الوالد رحمه الله في أيام إقامتنا في النجف الأشرف يحضر مجلس الاستفتاء الذي كان يقيمه خالي السيّد ميرزا علي آغا[١] ابن الميرزا الكبير.

وعندما انتقل إلى كربلاء المقدّسة كان يحضر مجلس استفتاء المرحوم الحاج آغا حسين القمّي في الليل حيث يتوجّه بعد أداء الصلاة إلى منزله مع السيّد الميلاني[٢] والسيد الكاشاني[١] وغيرهم ويبقون هناك حتى الساعة الخامسة العربية[٢] من الليل ثم يعود إلى منزلنا.

---

١ ـ السيد ميرزا علي آغا الشيرازي خلف آية الله المجدد؛ ولد سنة (١٢٨٧هـ) أخذه والده إلى سامراء سنة (١٢٩١هـ) وهو خماسي، وفيها شب ونما واحتضنته حجور علمية، من تلمذة أبيه حتى حكي عن العلامة السيد محمد الفشاركي أنه تربى في حجر خمسين مجتهداً، توفي في النجف الأشرف (١٨/ربيع الثاني/١٣٥٥هـ). (راجع الكنى والألقاب: ج٣ ص٢٢٤).

٢ ـ الميلاني: محمد هادي ابن السيد جعفر ابن السيد أحمد ابن السيد مرتضى ابن السيد علي أكبر السيد أسد الله ابن السيد حسين الحسيني التبريزي (١٣١٣ ـ ١٣٩٥هـ).

فقيه أصولي كبير، ومجتهد محقق بارع، وزعيم ديني خبير ومن أئمة التقليد، وفي طليعة قادة الحركة الإسلامية الكبرى في ايران عام (١٣٨٣هـ)، ولد في النجف الأشرف وأخذ مقدمات العلوم والأوليات والسطوح من الفضلاء، واجتاز مراحل المتون بتفوق واجتهاد، ودخل حقل البحث الخارج، فتتلمذ علي شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين النائيني والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ

⇦

محمد جواد الميلاني والسيد علي المرتضى والسيد عبدالغفار المازندراني، هاجر إلى مدينة كربلاء وفتح باب التدريس هناك، ثم هاجر في العام (١٣٧٣هـ) إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام للزيارة. توفي في ٣رجب (١٣٩٥هـ). من آثاره العلمية: تعليقات على العروة الوثقى، تعليات على كتاب الهدى إلى دين المصطفى، تفسير سورة الجمعة والتغابن، حاشية المكاسب.

١ ـ السيد زين العابدين بن السيد محمد بن السيد حسين الكاشاني الحائري؛ عالم كبير وتقي صالح. كان والده من أعاظم العلماء وشقيقه السيد حسين من الأعلام الأجلاء أيضاً، كان من تلاميذ الشيخ محمد كاظم الخراساني في النجف مدة، ثم تشرف إلى سامراء فمكث برهة مستفيداً من شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي، وبعد وفاة والده قام مقامه في كربلاء أيام الحجة السيد آغا حسين المقي وكان يعينه في الفحص عن مصادر أجوبته للمسائل، وبعد وفاته هاجر إلى قم واتصل بالزعيم السيد آغا حسين البروجردي فارسله بوكالة منه إلى الكويت، فكان هناك مرجعاً للأمور الشرعية وغيرها وبعد سنتين من ذلك مرض فعاد إلى قم وتوفي فيها في العشرة الثانية من صفر (١٣٧٥هـ) عن عمر يناهز السبعين عاماً، له آثار علمية منها: (أرجوزة في الحج) وغير ذلك. (نقباء البشر: ج٢ ص٨٠٤).

٢ ـ يقال لـ (التوقيت الغربي): الساعة العربية، كما يقال لـ (التوقيت الزوالي): الساعة الإفرنجية.

والحاج الآغا حسين القمّي كان يعتمد عليه اعتماداً كبيراً جداً، وأحياناً عديدة كان يقول: إنّي لم أجد في إيران ولا في العراق شخصاً يشبه ميرزا مهدي في أخلاقه.

حسن المعاشرة

وكان حسن المعاشرة مع جميع الناس، ولذا أدّب أهالي مدينة كربلاء المقدّسة بالأخلاق الدينية والاجتماعية الفاضلة[1].

⇨

---

١ ـ مصداقاً للحديث الشريف المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث قال: (كونوا دعاة إلينا بغير ألسنتكم).

كما كان له التأثير التربوي الكبير على المجتمع الكربلائي ـ الذي عاش ضمنه وفي احضانه ـ عن طريق آخر، حيث أسس مركزاً لحفظ القرآن الكريم فكان النواة لتوسيع أنشطة مدارس حفظة القرآن الحكيم، وتأسيس وتشجيع المحافل القرآنية، والهيئات الحسينية وتأسيس وتنشيط فعاليات المساجد والحسينيات والمدارس بأنواع النشاطات التثقيفية والتوعوية وبأعمال البر والإحسان وغيرها كثير. فكانت كربلاء تعج بالنشاطات الإجتماعية المتنوعة. وكانت من القوة والصمود بحيث لم تؤثر عليها التيارات الإلحادية والإنحرافية المفسدة رغم تنوع ألوانها وشعاراتها إلا القليل الشاذ والذي كان بدوره معرضاً للزوال والاضمحلال.

⇦

ذريته

وقد رزق رحمه الله من والدتي[1] وهي الزوجة الوحيدة له من أول زواجه حتى وافاه الأجل ستة أولاد ذكور: محمد وعلي وحسن وحسين وصادق ومجتبى، لكن مات ولدان في صغرهما وهما علي وحسين، كما ورزق سبع بنات بقيت ست منهن وماتت السابعة في صغرها واسمها عذراء.

من المعجزات

نقل لي الوالد رحمه الله أنه ظهر في حرم السيد محمد عليه السلام في أيام الزيارة معجزات رآها بنفسه، ومن جملتها: أنه أحياناً كان السيد محمد يصيح بلسان إنسان فيذكر مشكلات الناس الموجودين هناك، فمثلاً: يصيح بلسان رجل أو امرأة من الأعراب بدون إطلاع أحدهما على المشكلات، فيقول: (هذا عن لسان السيد محمد) أن فلاناً نذر لي خروفاً ولم يف بنذره إليّ وفلان نذر عدة خراف، وفلان نذر صيام أياماً معينة، وفلان مديون للناس بمبلغ من المال، وهكذا..

وكان ينقل لي من هذه القصص بعض العجائب وبعد التفحّص تبين أن كل ما كان يقوله إنسان عن لسان السيد محمد يكون صحيحاً وواقعياً.

---

١ ـ هي العلوية السيدة (حليمة) عمّرت ثلاثة وسبعين عاماً (١٣٢٣ ـ ١٣٩٦هـ) بنت السيد عبدالصاحب ابن آغا بزرگ، وأمه آغا بي بي بنت السيد المجدد الكبير الشيرازي صاحب فتوى التنباك الشهيرة. راجع كتاب (والدتي) للإمام المؤلف ـ اعلى الله درجاته ـ.

من تواضعه

كان الوالد رحمه الله يباشر بنفسه كثيراً من الأعمال المنزلية مع مهامه المرجعيّة الكثيرة ومسؤولياته الجمّة..! ، فقد اتفق أن أصبنا ـ كل من في الدار ـ بمرض الملاريا وكنّا حينذاك عشرة أفراد باستثناء الوالد، وكانت إصابتنا شديدة جداً لدرجة الإغماء، وكان الوالد يذهب إلى الطبيب قبل طلوع الشمس ويأتي به إلينا وبعضنا نائمون وكان الوقت قائضاً شديد الحر والطبيب يفحصنا واحداً تلو الآخر ثم يصف لنا الأعشاب القديمة، ووالدي يذهب إلى السوق ويشتري الأدوية وبعض الأغذية اللازمة كل يوم، وكان يباشر أمورنا لأنّ والدتي أيضاً كانت مريضة، وبعد برئنا من المرض ذهب الوالد إلى الطبيب وكان قريباً منّا وسأله عن ثمن التطبيب والأدوية والأعشاب فكان ثمن الجميع نصف دينار وهو ما يعادل خمسمائة رغيف خبز ممّا يعادل كل أربعة منها أوقية واحدة أي أكثر من الكيلو غرام قليلاً في زماننا.

كما أنّه رحمه الله في أيام طفولة أختي زوجة السيّد كاظم الخراساني[1] رحمه الله كان يباشر علاجها بنفسه حيث مرضت ثلاث سنوات لعين أصابتها، فقد كانت

---

١ ـ آية الله السيد محمد كاظم ابن آية الله السيد جواد ابن آية الله العظمى السيد محمد باقر المدرسي، الذي اخذ بزمام المرجعية في خراسان.

ولد سماحته في أرض طوس المقدسة في سنة (١٣٢٩هـ)، تحتضنه عائلة عُرفت بالعلم والتقوى، وكان من أبرز تلامذة العالم العارف آية الله العظمى الميرزا محمد مهدي الغروي الأصفهاني وبعد أكثر من ١٥سنة من تلقي دروس المعارف و٢٥ سنة الدروس

تمشي وعمرها ستة أشهر فمرضت وطال مرضها، وكان كل يوم يذهب الوالد إلى الطبيب في النجف الأشرف حتى شفيت بإذن الله.

ومرّة أخرى كان يذهب إلى الطبيب كل يوم لأجل مداواة أخي المرحوم السيّد حسن[1] من جراحات استعصت على العلاج، وطالت حوالي سنة، وكانت تستدعي مراجعة الطبيب في كل يوم مرة.

وهكذا كان الوالد يعمل كل هذه الأعمال بدون تأفّف أو تضجّر أو تعاجز.

قراءة العزاء للإمام الحسين عليه السلام

كان الوالد رحمه الله يقرأ العزاء الحسيني كل يوم في وقت فطور الصباح، من كتاب(منتهى الآمال) أو(وقائع الأيام) للقمّي أو(جلاء العيون) للمجلسي، أو

الحوزوية المعتادة، شاءت قسمة الله أن يصاهر قدس سره سماحة آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي قدس سره، ثم انتقل إلى كربلاء المقدسة، فاضت روحه الزكية إلى بارئها راضية مرضية في حين كان في قنوت صلاة الصبح، ودفن في صحن السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام في مدينة قم المقدسة، وكان ذلك في فجر يوم الخميس (٢٥/شوال/١٤١٣هـ).

١ ـ آية الله السيد حسن بن السيد مهدي الشيرازي، ولد في مدينة النجف الأشرف عام (١٣٥٤هـ) درس السطوح العليا على يد العلماء الكبار أمثال والده آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي وآية الله العظمى محمد هادي الميلاني وآية الله العظمى الشيخ محمد رضا الأصفهاني، أسس الحوزة العلمية الزينبية في سوريا عام (١٣٩٣هـ) وكان يدرّس فيها، اغتيل برصاصات البعث العراقي في لبنان عام (١٤٠٠هـ).

غيرهم، فكنّا نجتمع حوله وكان يبكي ويُبكي جميع الحاضرين، من أفراد عائلته.

ولقد تعلم منه العم السيد ميرزا جعفر رحمه الله[١] في قراءة العزاء الحسيني وأخذ يقرأ في بعض المناسبات، وقال السيد ميرزا عبد الهادي رحمه الله[٢] للسيد ميرزا جعفر: أقرأ لنا بعض أشعار العزاء، ولم يكن يعرف أن السيد ميرزا جعفر يقرأ لعائلته في بعض الأيام، فقال له: إني لست منبرياً، قال السيد عبد الهادي: ولكنك مقبول عند الإمام الحسين عليه السلام فقد رأيت في عالم الرؤيا أن يوم القيامة قد قام وان الإمام الحسين عليه السلام اعتبرك من المنبريين حيث حذف اسم منبري كان قد انحرف وكتب اسمك مكان ذلك الاسم المحذوف.

---

١ ـ السيد ميرزا جعفر الشيرازي (١٣٠٧ ـ ١٣٧٠هـ) دفن في روضة الشاه عبدالعظيم الحسني بـ (الري) قرب طهران ـ إيران.

٢ ـ آية الله العظمى السيد عبدالهادي بن إسماعيل الحسيني الشيرازي؛ ولد في مدينة سامراء عام (١٣٠٥هـ) تتلمذ عند المراجع العظام أمثال الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين والآخوند الخراساني وشيخ الشريعة والسيد علي الشيرازي والميرزا النائيني،آلت إليه المرجعية والسيادة الدينية بعد السيد أبوالحسن الأصفهاني. توفي عام (١٣٨٢هـ) عن عمر يقارب ٧٧سنة.

من عنايات المعصومين عليهم السلام ودعاء الوالد

إني لا أشك في أن ما وفقت له ماضياً وحاضراً قد كان بسبب دعاء الوالد رحمه الله لي وبركة الأئمة المعصومين عليهم السلام حيث أن الإمام الحسين عليه السلام وسائر المعصومين عليهم السلام لهم العناية المتزايدة والكرامات الكثيرة ليس في زمان حياتهم فحسب بل وحتى في هذا الزمان.

وكان لي صديق اسمه السيد جواد الكشوان قبل خمسين عاماً قال: عندما كنت طفلاً كان بستاننا قريباً من حرم الإمام الحسين عليه السلام فقال لي والدي ذات يوم: اذهب إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام وقل لجدك ـ أي الإمام الحسين عليه السلام ـ إنا لا نملك شيئاً في هذا اليوم ولا نتمكن من الغذاء، يقول: فذهبت إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام ومددت يدي في داخل الضريح وتصورت أن الإمام الحسين عليه السلام موجود هناك وأنه لا يعطيني، فقلت: يا جدي إن أبي يقول: إنّا في هذا اليوم لا نملك طعام الظهيرة فأعطنا شيئاً، وإذا بشيء يوضع في يدي ولما سحبت يدي ونظرت إليها رأيت أن زوجاً من الأقراط الذهبية في يدي، فذهبت به إلى الوالد فتعجب الوالد تعجباً كبيراً وأخذ القرط وباعه بثمن لا بأس به مما صار مصرفنا لأيام.

وهكذا فالمعجزات والكرامات التي تظهر من هذا البيت الرفيع بيت النبوة وموضع الرسالة عليهم السلام مما رآه أغلب الناس في مناسبات مختلفة تفوق التواتر والحصر.

وبهذه المناسبة لا بأس أن انقل قضية أخرى وإن كانت القضايا التي جمعت عندي في هذا الباب كثيرة:

قد سمعت بمرض أحد علماء طهران وهو من أصدقائنا، وأنه دخل المستشفى لكني لم أعلم عنوانه في المستشفى وإنما اتصلت به بعدما عاد إلى بيته مشافى..

ثم قدم ذات يوم إلينا في قم المقدسة ونقل لي هذه القصة حيث قال:

كنت مبتلياً بداء السرطان مما يئس الأطباء من شفائي بعدما عجزوا من علاجي، ودخلت المستشفى حتى أموت هناك، وفي ذات ليلة دخل الأطباء غرفتي وقالوا: إنك تموت في سحر هذا اليوم فإذا كانت عندك وصية أوصي بها، وكان إلى جانبي شخص مسيحي أيضاً مبتلى بنفس المرض (السرطان) ولما علمت بأني سأموت أخذت في قراءة أشعار ترتبط بصاحب العصر عليه السلام متوسلاً إليه بكل حرقة ولوعة وبكاء، وفي منتصف الليل وأنا في حالة النوم رأيت أن مجلساً عظيماً يضم كثيراً من العلماء أمثال الشيخ المفيد[1] وغيره من علمائنا في الزمن الحالي وهناك منبر موضوع، فصعد عليه شخص لم أره وكان نورانياً إلى أبعد حد ولم أعرف من هو، وقال أحد الجالسين له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

فبذلك عرفت أن الصاعد على المنبر هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

١ ـ أبوعبدالله محمد بن محمد بن النعمان بن عبدالسلام البغدادي؛ شيخ المشايخ والجلة ورئيس رؤساء الملة، توفي رحمه الله في ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣هـ) وقبره بالقرب من أبي جعفر الجواد عليه السلام وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦هـ).

ثم قال ذلك الشخص للرسول الأعظم ﷺ: إن هذا الرجل (وأشار إليّ) إنسان محسن وهو يفعل الخير لنا، فاسأل من الله شفاءه، قال: وكنت في كل شهر رمضان أهدي كتاب الله نسخة لرسول الله ﷺ ونسخة لعلي أمير المؤمنين عليه السلام ونسخة لفاطمة الزهراء عليها السلام.. وهكذا إلى الإمام المهدي عليه السلام، وقرائين لأجل العلماء كالشيخ المفيد والسيد المرتضى[1] وهكذا.. وفي كل

---

١ ـ السيد المرتضى هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، سيد علماء الأمة ومحيي آثار الأئمة، المشهور بالمرتضى والملقب عن جده المرتضى عليه السلام بعلم الهدى، الذي جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما توحّد به وتفرّد، وأجمع على فضله المخالف والمؤالف واعترف بتقدمه كل سالف، صاحب المصنفات المشهورة التي كلها أصول وتأسيسات غير مسبوقة، وكان السيد قدس سره نحيف الجسم وكان يقرأ مع أخيه الرضي علي ابن نباتة صاحب الخطب وهما طفلان، وحضر المفيد قدس سره مجلس السيد يوماً فقام من موضعه وأجلسه في وجلس بين يديه فأشار المفيد بأن يدرّس في حضوره، وكان يعجبه كلامه إذا تكلم وكان السيد قد وقف قرية على كاغذ الفقهاء وحكاية رؤية المفيد في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنها أتت بالحسن والحسين عليهما السلام وقولها له: علم ولديّ هذين العلم، ومجيء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام إلى المفيد وقولها له: علم ولديّ هذين العلم مشهورة.

توفي رحمه الله لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦هـ) وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها ثم نقل إلى جوار جده الحسين عليه السلام ونقل عنه انه قال عند وفاته:

شهر رمضان ما يقارب ٢٥٠ نسخة من القرآن الكريم كنت أهدي لهم طيلة أيام حياتي.

فلما طلب ذلك من رسول الله ﷺ دعا لشفائي والجالسون أمنوا على دعائه فقمت من المنام ولم أر أي أثر للمرض فيّ، فتعجبت وجاء الأطباء وقت السحر ليحملوا جنازتي إلى المغتسل وإذا بهم يروني صحيحاً سليماً لا أثر لمرض السرطان في بدني إطلاقاً، قال: والغريب أنهم ذهبوا إلى ذلك المريض المجاور لي، والمبتلى بالسرطان أيضاً وكان على دين النصارى فوجدوا أن سرطانه أيضاً قد زال عنه وشفي تماماً ببركة رسول الله ﷺ فخرجنا أنا وهو من المستشفى في نفس اليوم مع دهشة وتعجب الأطباء بصورة غريبة.

من بركات كتاب الرحمن

هذه القصة نقلها لنا والدنا رحمه الله علماً بأن سماحته كان حافظاً للقرآن، وكان ملتزماً بأن يقرأ في كل يوم بعض أجزاء من القرآن عن ظهر القلب، فتحدث لنا قائلاً:

نقل لي أحد الصيادين المحترفين ذات يوم قوله: إني خرجت إلى الصحراء في مدينة سامراء المقدسة أبحث عن صيد حتى وجدت شيئاً

لئن كان حظي عاقني عن سعادتي....فإن رجائي واثق بحليم

وإن كنت من زاد التقية والتقى....فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم

راجع سفينة البحار: ج٣ ص٣٦٨.

يتحرك من بعيد، فوجّهت فوهة بندقيتي نحو المتحرّك تصوراً من أنه فريسة، والعجيب أنه كلما حاولت إطلاق النار باتجاه الصيد وضغطت على الزناد كانت البندقية لا تطلق النار.

ولكن لما كنت أغيّر اتجاه البندقية يميناً أو يساراً كانت البندقية تعمل وتطلق النار، ثم لما كانت أعود وأوجّه فوهة بندقيتي نحو الصيد كانت البندقية تتعطل عن عملها مرة أخرى.

كررت ذلك مراراً وتكراراً دون جدوى، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عجيب لا يخلو من سرّ، فعليّ أن اقترب من الصيد واكتشف سرّ الأمر.

فلما اقتربت من الصيد فوجئت بأنه إنسان وليس صيداً، فازداد تعجبي من ذلك، فدنوت منه ونقلت له القصة متسائلاً عن السرّ الكامن في توقف عمل البندقية ـ مع سلامتها ـ كلما وجهت فوهتها باتجاهه؟!

فأجاب: الحقيقة إني حافظ للقرآن وإن حافظ القرآن هو في حماية الله سبحانه وتعالى، ومن كان في حماية الله تعالى لا يصيبه أذى.

أقول: إني احتمل أن صاحب القصة هو المرحوم والدي قدس سره لكن لم يذكر نفسه تأدباً.

التجلي في قبو الغيبة

نقل لنا أحد علماء قم المعمّرين وكان قد التقى بوالدنا وعاشره؛ بأنّ المرحوم والدنا في ساعات العصر من أيام الجمعات كان يتوجه إلى سطح الدار في الصيف والشتاء غير مبال بالحر أو البرد، يتوسل بالإمام المهدي عليه السلام فيبكي ويتضرع، قد تشرّف بلقاء الإمام الحجّة عليه السلام ثلاث مرات:

مرّة في القبو المقدس.

والثانية: في مقبرة هود وصالح ′ في النجف الأشرف.

والمرة الثالثة: في مدرج القبو المقدس حيث صادف نزول الوالد والإمام عليه السلام يرتقي المدرج، ولا أعلم تفصيل ذلك باستثناء رؤيته للإمام عليه السلام في نفس القبو.

ولكن لم ينقل لنا والدنا المرحوم من ذلك شيئاً.

قال المتحدّث المذكور في تفصيل قصّة تشرّف والدنا بلقاء الإمام الحجّة عليه السلام في قبو الغيبة:

بأنّ والدنا (أيّام إقامته في مدينة سامراء) كان يذهب في ليالي لزيارة القبو المقدّس ويبيت فيه حتى الصباح مشتغلاً بالعبادة وقراءة الأدعية وتلاوة القرآن، وفي أيّام الجمعة كان يبقى لقراءة دعاء الندبة ثمّ ينصرف بعدها إلى منزله، وحيث كانت سامراء خالية من الزوّار في أكثر أوقاتها، ولم يكن هناك من يأتي لزيارة القبو المقدّس قال المتحدّث المذكور نقلاً عن والدنا إنّه قال له:

كنت مطمئنّاً بعدم مجيء أحد لزيارة القبو المقدّس، ولذلك كنتُ عند تشرّفي للزيارة أغلق الباب على نفسي من الخلف لأكون فارغ البال كامل التوجّه إلى اللّه تعالى في دعائي وتوسّلي بوليّه صاحب العصر والزمان عليه السلام.

وفي صباح يوم جمعة وأنا مشتغل بقراءة دعاء الندبة وقد أغلقتُ الباب على نفسي، وصلتُ في الدعاء إلى هذه الفقرة: (وعرجت بروحه إلى

سمائك) وإذا أنا بسيّد جليل وهو جالس إلى جنبي يشير إليّ بيده ويقول: (وعرجتَ به إلى سمائك) مكان: (وعرجت بروحه إلى سمائك).

فأعدتُ الفقرة كما أشار عليّ السيّد الجليل وواصلتُ قراءتي للدعاء وأنا غافل تماماً عن عمق الواقع، وعن الحقيقة التي صادفتها، وعن إشارة السيّد في تبديل الفقرة، وعن شخصيّة السيّد نفسه، حتّى إذا مضيتُ في الدعاء، وانقضت مدّة يسيرة، وإذا بي ألتفتُ إلى نفسي متسائلاً: يا ترى من كان هذا السيّد الجليل؟ ومن أين دخل القبو المقدّس؟!

ألستُ قد أغلقتُ الباب على نفسي بحيث لا يستطيع أحد الدخول إليه؟!..

ألم أطمئنّ بعدم وجود أحد ما في القبو المقدّس؟!..

وأخذت هذه الأفكار تشتبك وتدور في رأسي وتقودني إلى معرفة الواقع وكشف الحقيقة، هذا وقد أخذت مني القشعريرة وأخذت كل أعضائي ومفاصلي ترتجف بشدّة، وقلبي يرتعش ويدقّ باضطراب وقوّة، حتى إذا استطعتُ أن أحوّل وجهي إلى المكان الذي كان السيّد الجليل يجلس فيه لأرى وجهه، لم أرَ أحداً، وكلما فتشتُ عنه لم أجد في القبو المقدس أي شخص، فتيقنت أنه لم يكن إلاّ سيّدي ومولاي صاحب العصر والزمان عليه السلام.

هذا ولا يخفى أن الفقرة في دعاء الندبة منقولة بالوجهين:

«وعرجتَ بروحه..» و«وعرجتَ به..»

أما وجه: «وعرجتَ به..» فواضح وعليه اتفاق الإمامية، إضافة إلى اعتراف العلم الحديث به وإثبات وقوعه، لأن الله تعالى عرج بنبيّه روحاً

وجسداً إلى سمائه، إذ المعراج كان معراجاً جسمانياً، وليس معراجاً روحياً فقط كما يتفق للنائم الذي يرى الأحلام في منامه.

وأما وجه: «وعرجتَ بروحه» ـ لو كان النقل صحيحاً ـ فليس معناه: المعراج بالروح دون الجسد، بل معناه: المعراج بالجسم والروح معاً، لكن تلك الروح الخاصة التي خصها الله تعالى بنّبيه والمعصومين من أهل بيته عليهم السلام وبتلك الروح القدسية استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعرج بجسمه إلى السماء وأن يرى ملكوت السماوات والأرض.

هذا؛ إضافة إلى أن المتعارف عند أهل اللغة واللسان العربي أنهم أحياناً يستخدمون مصطلح (الروح) يريدون بها الجسم والروح معاً، كما ويطلقون (الجسم) ويريدون به الجسم والروح معاً أيضاً، فمثلاً لو اتكى شخص على آخر يقول له: لا ترمي بروحك عليّ، ويقولون: إنا جئت بروحي، أو ذهب بروحي، وهكذا..

المرجعية: مسؤولية كبرى

كنت بصحبة والدي المرحوم السيد ميرزا مهدي الشيرازي، وابن عمي المرحوم السيد أبو القاسم الشيرازي، في مجلس كان يضم المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أيضاً، وفي تلك الأثناء جاءنا خبر وفاة المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره[1] فتأسفنا جميعاً وتأثرنا بالخبر

---

١ ـ آية الله العظمى السيد أبوالحسن محمد الموسوي الأصفهاني (١٢٧٧ ـ ١٣٦٥هـ)، آلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني رحمه الله سنة (١٣٥٥هـ)،

المفجع، غير أن الذي تغير لونه واضطربت أحواله أكثر من كل الحاضرين هو الميرزا السيد عبد الهادي الشيرازي تغمده الله حيث أنه كان مرشحاً من قبل بعض خواص العلماء وأهل الرأي والنظر للزعامة العامة والمرجعية الدينية، وخوفاً من تلك المسؤولية الجسيمة بدا الاضطراب واضحاً عليه وهو يقول مردّداً: أستجير بالله تعالى مما أخاف وأحذر، إني يا رب أخاف أن تصلني مسؤولية الزعامة والمرجعية، وأحذر من عبئها الثقيل ومسوؤليتها الكبرى، وهكذا بقي مضطرباً من ألم المصاب وخوف المسؤولية.

ومعه كل الحق في ذلك، فإنَّ مصاب فقد مرجع كبير كالسيد الأصفهاني تغمده الله كان كبيراً ومؤلماً، كما أن عبء المرجعية الشيعية والزعامة الدينية العامة كبير وثقيل أيضاً، ومن المعلوم أن من يخشى شيئاً، يأخذ حذره منه ويتهيأ له، ويتحفظ عن مساقطه ومهاويه بقد استطاعته، وهكذا كان تغمده الله استطاع أيام مرجعيته العليا بعد السيد البروجردي تغمده الله من بث روح التقوى الورع، ونشر الثقافة الدينية والأخلاق الإسلامية في أوساط المسلمين وبخاصة الحوزات الدينية والعلمية المباركة.

شارك في الحركة الدستورية في ايران كما شارك في ثورة العشرين (١٣٣٨هـ)، وعارض تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق، كان زعيماً للحوزة العلمية في النجف الأشرف، له عدة مؤلفات أشهرها (وسيلة النجاة).

اعتياد الخير

نقل لي والدي ﷺ عن ذكريات طفولته القصة التالية قائلاً:

إني لا أنسى عندما كنت صغيراً أدرج في البيت بمنظر ومرأى من والدتي (رحمها الله) تعتني بتربيتي وتأديبي غاية الاعتناء أنها كانت من الصالحات القانتات، وعلى إثر ذلك كانت لا تفوتها نافلة الليل وتلاوة القرآن بالأسحار، وكانت إذا قامت لصلاة الليل والتهجّد فيه أيقظتني معها، واصطحبتني إلى مصلاها، وأقعدتني إلى جنبها، وكانت توصيني بالانتباه إليها وعدم النوم أو الغفلة عنها.

وحيث كنت صغيراً يغلب عليّ النوم، ولم أكن في سنّ أقدر على الصلاة معها، فكانت تجعل أمامي ظرفاً فيه شيء من الحمّص والزبيب لأنشغل عن النوم بالأكل واللّعب، وبالفعل كنت ألهو به عن النوم، وبهذا الأسلوب كانت تعلّمني والدتي (رحمها الله تعالى) القيام في الأسحار، وتعوّدني على الانتباه المبكّر قبل الفجر لأداء نافلة الليل والتهجد فيه، رغم أني كنت صغيراً ويغلبني النوم، وربما كنت لا استطيع المشي عندما توقظني والدتي في السحر من غلبة النعاس، لكنها كانت تتحمل كل ذلك مني برحابة صدر، وانبساط وجه، وطيبة لسان، وطهارة قلب، حتى اعتدت قيام الإسحار بلا مشقة أو عناء.

الزهد والتقوى

نقل لي ابن العم السيد ميرزا أبو القاسم الشيرازي ﷺ أنهم أيام تواجدهم لطلب العلم في مدينة سامراء، كانوا يذهبون في أيام الربيع خارج

المدينة للاصطياف والنزهة، حيث أن أمطار الربيع كانت تملأ الصحراء بالورود والزهور وكان لها أبهج المناظر، وأطيب الأريج.

قال: وكنا نصرّ على والدك سماحة السيد ميرزا مهدي قدس سره في أن يرافقنا إلى خارج المدينة للإرتياح، لكنه كان يأبى ويتعلل بالدرس والبحث.

حتى إذا كان يوم الجمعة، قلنا له: لا بدّ أن ترافقنا للتنزه فإنه لا درس في هذا اليوم.

قال: إن لم يكن عندي درس فعندي مطالعة وتحضير.

قلنا: يمكن لك أن تطالع في الصحراء حيث المتنزه؟.

قال: عندي برنامج حفظ القرآن الحكيم.

قلنا: ويمكنك أيضاً أن تحفظ هناك.

قال: لكني في عصر الجمعة اعتاد زيارة الإمام المهدي عليه السلام في القبو المقدس.

وهنا قال ابن العم: فثارت حفيظتي وقلت له: إذن قل منذ البداية إني لا أريد الخروج معكم.

العلم والعمل

وكان الوالد قدس سره يحثّني كثيراً على المطالعة ومواصلة الدراسة، ويقول لي عن نفسه: إنه إبّان اشتغاله بالدرس لا ينام في الليل والنهار إلاّ ما يقارب الساعتين فقط، وكان قد خصص وقتاً لذلك في الليل وعلى ضوء القمر، حيث لم يكن آنذاك مصابيح وكانت أحوالهم المادية ضعيفة لا تسمح لهم

بتوفير سراج للمطالعة في ضوئه، وكان في النهار مشتغلاً بالدرس والبحث ولذلك كان لا يتمكن من حفظ القرآن إلاّ ليلاً.

وكان قدس سره يقول أنه قد تعاهد مع نفسه منذ أوائل بلوغه أن يجتنب بتوفيق من الله تعالى كل ما يمكن أن يبتلي به طالب العلم من حبّ الصدارة في المجالس، وحبّ الغلبة على المناظر في أثناء البحث، وحبّ الجاه والمقام الاجتماعي، وبيع الآخرة بالدنيا، وما أشبه ذلك.. وقد رأيته بنفسي أنه قدس سره كان ملتزماً بعهده، موفياً لوعده، حتى نهاية حياته.

وقد صادف ذات مرة أن كنت بخدمته وذلك حين رجوعه من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة بعد أن تشرفنا بزيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى المناسبات الخاصة بزيارته عليه السلام، إذ تعطلت السيارة في الطريق قرب (النخيلة) لنفاذ وقودها، فأخذ الوالد قدس سره يتمشى ويتلو القرآن عن ظهر الغيب حفظاً ـ حيث كان حافظاً له ـ واستمر حتى الفجر على تلاوته، ولما سألته عن المقدار الذي قرأه من القرآن، قال: ثمانية أجزاء.

وقد كان قدس سره ملتزماً بترك النوم بين الطلوعين، وكان يتلو كل يوم بعد صلاة الصبح جزءً من القرآن الكريم، بالإضافة إلى الأدعية اليومية المأثورة.

وكانت من سيرته: أن ينقل صلاة الجماعة في أيام الزيارة ـ حيث يتوافد الزوار على مدينة كربلاء المقدسة ـ من الحصن الشريف إلى المسجد أو الحسينية، وكان يقول: لا أحب أن أزاحم الزائرين.

وكان في أوائل إمامته لصلاة الجماعة يصلي صلاة الصبح في الحرم الحسيني عليه السلام خلف الضريح المقدس، ثم نقل صلاة الجماعة من ذلك المكان الطاهر حتى لا يسبب مزاحمة الزائرين.

وكان قدس سره قد ارتبط روحياً مع الإمام المهدي عليه السلام حتى أنه كان لا يغيب عن ذهنه، ولا يغفل عن ذكره، وكان يذهب عصر كل جمعة إلى مكان خلوة من سطح دار أو نحوه، ويتوجه إلى الإمام عليه السلام بقلبه ويناجيه بسرّه، ويتوسل إلى الله تعالى بتعجيل فرجه وتسهيل ظهوره بعد قراءة الأدعية الواردة في ذلك.

وكان قدس سره حليماً صبوراً على أذى الناس، ويعفو عنهم، ففي ذات مرة كتب إليه شخص كتاباً وجه إليه فيه شتائم كثيرة، وكان قد صدّره بكلمة قاسية جداً، فتغير لونه من مطالعته، لكنه أجرى الحوقلة على لسانه وسرى عنه.

المرجعية رأفة ورحمة

كان السيد الوالد قدس سره إبّان سيطرة الشيوعيين على العراق واشتغالهم بالنهب والهتك وسفك الدماء البريئة يقول:

إنّ دم البريء لغم موقوت ينفجر فيدكّ عروش الظالمين ويزيل حكمهم وملكهم، وإنّي أتمنّى أن لو كنت أقدر على أن أكفّ القتل عن الجميع وأكون أنا المقتول على أيديهم مكان من قتلوا، فيحدث قتلي ضجّة في الأوساط ويكون ذلك سبباً لزوال سيطرتهم وخلاص الشعب العراقي المسلم من ظلمهم.

وكان يدمي ذلك قلبه إلى أن استطاع بعد عقد الاتفاق مع علماء النجف الأشرف في النهضة ضدّ الشيوعيين، وقد توفقوا للقضاء عليهم بإذن الله تعالى، فزال عن صدر العراق المسلم كابوسهم المرعب والحمد لله رب العالمين.

أنفع الأعمال

نقل لي أحد الأخيار: بأنّه رأى والدي السيد ميرزا مهدي قدس سره في المنام بعد وفاته، وهو بحالة جيّدة يُغبط لها، قال: فدنوت منه وسلّمت عليه وسألته: ما كان أنفع الأعمال الدنيوية التي وجدتم ثوابها في الدار الآخرة؟.

قال: كان أنفع الأعمال هو ما كنت أعطيه للفقراء الذين يقصدون باب الدار يريدون مني مبالغ قليلة يستعينون بها على أمورهم ـ كما هي عادة الفقراء ـ فإن إسعافهم في ذلك اليوم كان أنفع الأعمال لي هذا اليوم.

ولعلّ إرشاد وتحريض إلى ما جاء في الروايات من تحريض الناس على ترك ردّ الفقير، فقد ورد الخبر بعدم ردّ السائل ولو كان على ظهر فرس[1]، كما ورد الخبر بأنّ اللّه تبارك وتعالى خلق الجنّة لأناس وقفوا أنفسهم لخدمة الناس وإسعاف الفقراء والمساكين.

---

١ ـ عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «أعط السائل ولو كان على ظهر فرس» وسائل الشيعة: ج٩ ص٤١٧ ب٢٢ ح١٢٣٧١.

نصيبه من الدنيا

لقد كان أبي رحمه الله عازفاً عن الدنيا عفيفاً زاهداً عما في أيدي الناس، ولذا كان نصيبه من الدنيا أقل القليل، وكان بيتنا متواضعاً جداً من حيث الأثاث ومن حيث أسباب الرفاهية.

مرض والدي

مضت الأيام ودارت الأعوام ونحن في شدّة وضيق حتى سقط والدي مريضاً، يئس الأطباء من شفائه، وطال به المرض واشتدت الحالة وازداد المرض تفاقماً. وكانت والدتي تتلقّى كل ذلك بصدر رحب ووجه باسم ورضى بقضاء الله تعالى، فكانت تكدح لأجل البيت، وتجمع شمل الأولاد، وتسهر إلى جنب زوجها المريض، وتتلقّى العائدين والزائرين بكل بشاشة، ولم تكن تشتكي ولا تظهر الجزع ولا تقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

الهجرة إلى كربلاء المقدسة

هكذا قضينا الأيام حتى وفاة زعيم أسرتنا المرجع الديني السيّد ميرزا علي آغا الشيرازي خَلَفَ المجدّد الشيرازي الكبير السيد ميرزا محمد حسن رحمه الله.

وهاجرنا إلى مدينة كربلاء المقدّسة بطلب من المرجع الديني السيّد الحاج آغا حسين القمّي رحمه الله .

كان وضعنا في مدينة كربلاء المقدّسة مثلها في مدينة النجف الأشرف، إلاّ أن الرخاء في البلد الجديد كان أكثر، ولكن الحال بقي كما كان من ضيق الدار وضيق ذات اليد، وضيق في سائل الأمور المعيشية.

وكانت الأم مستمرة دون كلل في خدمة البيت حيث لا ماء ولا كهرباء ولا ماكنة خياطة ولا وسائل راحة.

كانت تساعد الأب في النفقة حيث تتلقى بعض المعونات من أقربائها أو الجيران بعنوان الهدية فتصرفها في شؤون البيت وفي شؤون الأولاد الذين كبروا تدريجاً وكبرت مسؤولياتهم واحتاجوا إلى كل شيء.

وعندما سافر والدي رحمه الله إلى خراسان ـ بصحبة المرحوم القمي رحمه الله ـ كانت هي المحور الرئيسي في إدارة البيت طيلة غياب الوالد، فكانت تدير شؤون البيت الداخلية وتكلف من يشتري الحاجات المنزلية.

النفس الحنونة

ولما مرض أخي حسين وصف الطبيب له بعض الأدوية وأمر بان نعطيه الدواء طوال الليل، إلا أننا فوجئنا بوفاته في الصباح فذهب الوالد إلى الطبيب مستفسراً عن سبب وفاته مع العلم أنه لم يكن مرضه صعب العلاج، بل كانت حمى عادية؟ قال الطبيب: إن اضطراب الولد عند تناوله الدواء كان يكشف عن عدم ملائمة الدواء له، فكان من الأفضل أن لا تعطوه الدواء مطلقاً، فإن الدواء سبب وفاته.

وهل يملك الإنسان أن لا يعطي الدواء للمريض بعد وصف الطبيب له؟!.

وبهذه البساطة البلهاء تبرء الطبيب عن اشتباهه في إعطاء الدواء.

وما هو العمل؟

فالقضاء قد نفذ.

ومات الطفل.

وأذكر أن أبي كان يجمع ملابس وأثاث أخي المتوفى ليغيبها عن عيني والدتي، لكن هيهات أن يؤثر ذلك في ذاكرة الوالدة شيئاً.

الفاجعة الأليمة

وعندما استقرّ بنا الأمر في مدينة كربلاء حيث ألقت المرجعية زمامها إلى والدي رحمه الله فلم يدم الأمر طويلاً، حتى اختطفت المنون والدي، بعد أن تمرض مرضاً دام سنوات.

وقد كانت الأقدار بمرصد لوالدتي حين اختطفت يد المنية والدي رحمه الله بالموت الفجئة فبقيت بلا وال ولا كفيل.

مقتطفات طيبة

كان أكثر تتلمذي على يد سيدي الوالد رحمه الله فقد درست عنده (السيوطي) في النحو، و(الحاشية) في المنطق، و(المعالم) في الأصول، و(شرح اللمعة) في الفقه و(مقامات الحريري) في الأدب، و(المطول) في البلاغة، و(خلاصة الحساب) في الحساب، ودرست عنده في المحاضرات الاجتهادية في (درس الخارج): الرسائل الفقهية التي تشمل المكاسب، والطهارة، والصلاة، والصوم، والخمس، والحج، ورسائل متفرقة أخرى.

مواقف الصمود

في عهود المد الأحمر بعد ثورة (١٤) تموز؛ كانت مدينة كربلاء المقدسة تقاوم الإلحاد والانحراف بكل صلابة وقوة، ووقفت ذلك الموقف المشرف الذي بسببه انحسر المد عن كل العراق، وحيث أن آية الله السيد الحكيم رحمه الله اضطهد في النجف الأشرف بسبب بعض العناصر الشريرة، أرسل والدي رحمه الله إليه بعض ذويه يدعوه للانتقال إلى مدينة كربلاء المقدسة والإقامة فيها، حتى يفرج الله سبحانه علينا بنصره، ولبى السيد الحكيم دعوة الوالد ولما قدم إلى كربلاء، قدمهُ الوالد ليؤم صلاة الجماعة بمكانه في صحن الإمام الحسين عليه السلام حيث صلى هناك واحتفى أهالي كربلاء الكرام بالسيد قدس سره.

ورع الفقيد

وكان رحمه الله على قدر هائل من الورع والتقوى والحذر من كل ما يكرهه الله، حتى إنّه لم يكن يقبل مهمّة تولّي الموقوفات، وولاية الأيتام معتذراً بأنّه لا يستطيع النهوض بها جميعاً، ولا يحبّ أن يتعهد بشيء ثم يعهد به إلى شخص آخر، وكان ورعه مضرب الأمثال لدرجة أنّه كان يخشى إنفاق الوجوه الشرعية في بيته إلا إذا ألحّت به الحاجة الماسة و كان يستغني عنها ـ مهما استطاع ـ بأمواله الشخصية التي كانت شحيحة عليه أحياناً.

وقد كان أحد الأخيار يروم التقليد بعد الحاج آقا حسين القمي رحمه الله، فسأل الحاج ميرزا علي الشيرازي (وهو أطول الأسرة الشيرازية عمراً وأكثر إشرافاً على حياة الفقيد): هل السيد ميرزا مهدي رجل عادل يصح تقليده؟.

فأجاب: لقد أشرفت على حياته منذ ولادته ولم أر منه مكروهاً ودع عنك الحرام.

إن الذين عاشروه بعض حياتهم يذكرون له نوادر قد تبلغ مصاف الأساطير في حين أنها حقائق لمسها عشرات الأشخاص حتى الآن.

المواظبة على قيام الليل

كان المرحوم الوالد رحمه الله مواظباً على قيام الليل حتى آخر أيام حياته، كما أنه كان كثير الدعاء والابتهال والتضرع وقراءة القرآن وما أشبه.

غضّ البصر

كان المرحوم الوالد رحمه الله بنقل عن عمّي السيد ميرزا عبد الله انه قال: إني مع طول ملازمتي للمرحوم الشيرازي لم أر باطن عينيه إلاّ مرتين فقط، وذلك لمواظبته على غض البصر والتفكر والذكر والتوجه إلى عالم آخر.

ما تلقاه الوالد على أيدي الحكام

كان محل إقامة المرحوم والدي قدس سره في مدينة سامراء، فتعرض للمطاردة أثناء الحرب العالمية الثانية حتى اضطر للسفر إلى مدينة الكاظمية، قال عن حياته في مدينة الكاظمية:

(بقيت في مدينة الكاظمية ستة أشهر ولم يكن لنا قوت إلاّ التمر الزهدي والقثاء، وقد استولى علينا القحط حتى أصبحنا لا نستطيع الحصول على الطعام إلاّ على رغيف من الخبز في اليوم الواحد، وكنا ندّخر هذا الرغيف للوالدة لأنها كانت مريضة وكانت بحاجة إلى رعاية خاصة).

ثم انتقل الوالد إلى مدينة كربلاء المقدسة وأصبح بمعية خاله الميرزا الثاني قائد ثورة العشرين، يعاضده ويسانده في أمور الثورة، وبعد موت الميرزا بالسمّ انتقل الوالد إلى مدينة النجف الأشرف وبقي هناك حتى وفاة خالي السيد ميرزا علي ابن السيد المجدّد الشيرازي، فانتقل مرة أخرى إلى مدينة كربلاء المقدسة بعد مطالبة ملحة من قبل السيد حسين القمي رحمه الله وبقي هناك حتى وافاه الأجل في عام ١٣٨٠للهجرة الذي كان عام حزن وأسى في العالم الإسلامي حيث فقد أربعة من أعلام الدين والتشيّع هم الشيخ محمد الخطيب، ثم المرحوم الوالد، ثم السيد آغا مير القزويني، ورابعهم كان السيد البروجردي رحمة الله عليهم جميعاً.

رؤيا الوالد وإصابته بالسكتة

رأى المرحوم والدنا في منامه ـ قبل أن يصاب بالسكتة القلبية وينجو منها ـ أنّ إحدى منائر ضريح حرم الإمام الحسين عليه السلام قد سقطت، وان الناس بعد جهد جهيد أعادوا المنارة إلى محلّها، ثم أصيب والدنا بالسكتة وعوفي منها، فقال المفسرون:

إنّ سقوط المنارة دلالة على مرضه، وإن دعاء الناس الذي كان في الرؤيا عبارة عن مجيء الناس، وإعادتهم المنارة إلى محلها دلّ على شفائه.

خاتمة الصالحين

في غداة كل يوم من أول الشهر كان المرحوم والدي يعطيني مبلغاً من المال ويأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي المسؤول عن تقسيم وتوزيع الرواتب الشهرية للطلبة ليتم توزيع المال على الطلبة

المتواجدين في كربلاء المقدسة، وكان هذا دأب والديﷺ في صباح كل يوم من أوائل الشهور العربية.

ولكن ذات يوم من الأيام وكان يصادف ٢٨ شعبان سنة ١٣٨٠هـ طلبني والدي ودفع لي ما كان يدفعه إليّ من المال صباح أول كل شهر، وأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي ليوزّعه على الطلبة. فاستغربت الأمر وقلت لسماحته: سيدي نحن في أواخر الشهر الحالي، ولم يحل علينا الشهر الجديد بعد.

فأجابني سماحته قائلاً: نعم، إنّي أعلم ذلك، ولكن ليس عليك إلا أن تسرع بالمال وتسلمه للشيخ.

ثم أخرج من جيبه بعض الأوراق فيها أجوبة استفتاءات التي كان قد أجاب عليها ودفعها إليّ وأمرني بتسليمها إلى أصحابها. ثم اتجه إلى محل الوضوء ليتهيّأ للصلاة، وكان الوقت قريب المغرب، تركته وهو يتوضأ، وإذا بصوت شقيقتي وهي تقول: أخي.. أخي...أنظر ماذا أصاب والدنا؟

فأسرعت إليه فوجدته مصاباً بالنوبة القلبية وهو على الحوض يتوضّأ، فاحتضنته ووضعته على فرش متواضع أعد لأجله، ثم استدعينا الأطباء لمعالجته، فلمّا أجروا عليه الفحوصات الطبيّة أعلنوا أسفهم وعذرهم من شفائه، لأن الفحوصات كشفت عن مفارقته للحياة وهو في أثناء الوضوء وقد غسل اليد اليمنى.

ومما يبدو لي حسب هذه الواقعة المشهودة أن سماحتهرحمه الله كان مستلهماً أو أنه رأى طيفاً في منامه يخبره عن ذلك وكيف كان فإن الأمر حسب تصوري لم يكن أمراً عادياً وإنما كان يرتبط نوعاً ما بعالم ما وراء الطبيعة والأمور الغيبية إذ كان ذلك التصرف خلاف عادته كما قلت سابقاً أن

يدفع لي المال في الصباح المبكر من أول كل شهر لأسلمه إلى الشيخ حتى يتم توزيعه على الطلبة[١].

قم المقدسة

محمد الشيرازي

---

١ ـ ينقل عن الخطيب الشهير المرحوم الشيخ عبدالزهراء الكعبي رحمه الله أنه أخبر سماحة آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي قدس سره وذلك قبل وفاة السيد بثلاثة أيام، بأنه قد رأى في منامه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي عليها السلام تقول له: إنت ولدنا السيد ميرزا مهدي الشيرازي وقل له: بأن أمك الزهراء تقول لك: إنك ضيف علينا بعد ثلاثة أيام.

فلما أخبر الشيخ السيد بذلك تهدلت دموع السيد على خديه وأخذ يبكي ويقول: كيف بي ويداي من الحسنات خالية، يبكي وهو يكرّر العبارة مراراً، وذلك مع ما كان عليه من الزهد والتقوى وخدمة الإسلام والمسلمين.

وكان كما أخبر به الشيخ الكعبي رحمه الله، حيث أنه لم تمض على السيد إلا ثلاثة أيام وإذا بالقضية المذكورة تتفق في آخر ساعات من اليوم الثالث، فيذهب وهو في حالة إسباغ الوضوء إلى لقاء ربه ليحلّ ضيفاً على أمه الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام.

القسم الثاني: خواطر

عن المرجع الديني الراحل

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي ـ أعلى الله مقامه ـ

بقلم نجله الأكبر:

الفقيه المقدس آية الله الشهيد

السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله مقامه ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين، إلى يوم الدين.

خواطر

هذه مجموعة من الخواطر شاهدتها بنفسي، أو سمعتها عن الآخرين، تتعلق بجوانب من حياة آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي رحمه الله.

محمد رضا

العبادة

كلمة (العبادة) تطلق على معنيين:

الأول: العبادة بالمعنى الأعم، وهي عبارة عن كل ما يجعله المؤمن عبادة بنية التقرب إلى الله سبحانه.

ويمكن للعبادة بهذه المعنى أن تستغرق آناء حياة الإنسان كلها.

وفي الحديث الشريف: «ليكن لك في كل عمل نية»[١].

الثاني: العبادة بالمعنى الأخص، وهي عبارة عن كل عمل يكون بهيئته ومادته مُقرّباً إلى الله سبحانه، كالصلاة والدعاء وقراءة القرآن.

ولئن كانت العبادة بالمعنى الأول مطلوبة، فإنها بمعناها الثاني مطلوبة أيضاً، ومن هنا نجد ظاهرة العبادة بمعناها الأخص جلية في حياة النبي ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ـ استمر الفقيد الراحل (رضوان الله عليه) على الذهاب إلى (مسجد السهلة) في أيام شبابه أربعين ليلة أربعاء، رغم صعوبة السفر في بعض تلك الفترات، حتى حظي بلقاء سيدنا ومولانا الإمام المنتظر# كما نقله بعض العلماء الكبار.

ـ وكان رحمه الله يقول في كل ليلة قبل منامه: (لا إله إلاّ الله) ألف مرة، كما نقل ذلك بعض ذويه.

---

١ ـ قال رسول الله ﷺ:«يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل». وسائل الشيعة: ج١ ص٤٨ ب٥ ح٩٠.

ـ في إبان الأزمة الخانقة في العراق، انتقل إلى بيت بعض الأقرباء، متخفياً فيه، وقد ظل هنالك لمدة أربعة أشهر، وقد كان رحمه الله يكتب عريضة[١] للإمام الحجة عليه السلام في كل يوم بعد صلاة الصبح ولم يترك هذا العمل خلال الأربعة أشهر ولا ليوم واحد.

الزهد

للزهد ـ كما يبدو ـ معنيان:

الأول: أن لا يملكك شيء.

الثاني: أن لا تملك شيئاً، إلا بقدر الضرورة.

والزهد مطلوب بمعنييه، وخاصة من القادة والرؤساء.

وفي الحديث الشريف: «... كي يَتَبَيّغَ بالفقير فقره»[٢].

وظاهرة (الزهد) واضحة جلية في حياة الفقيد الراحل (رضوان الله عليه).

ـ انكسر إطار نظارته رحمه الله، فلم يرض بتبديله، بل ربط أجزاءه بشريط لاصق، ولا زالت نظارته بعد وفاته ملصقة بذلك الشريط.

---

١ ـ لمعرفة التفصيل عن كتابة العريضة انظر كتاب (الدعاء والزيارة) للإمام الشيرازي رحمه الله.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطب: ٢٠٩ ومن كلام له عليه السلام بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي.

ـ حيث كان﵀ يعاني من أوجاع الرجل في السنوات الأخيرة من حياته، اقترح عليه البعض أن يجلس على كرسي حين استقباله الناس، فلم يقبل بذلك، لأنه قد يكون فيه لون من ألوان الاستعلاء على الجالسين.

ـ كما اقترح البعض أن يضعوا للكل كراسي أو نحوها، على نفقتهم الخاصة، فلم يرض بذلك، وقد نقل له أحد أولاده الاقتراح ذات مرة، فقال ﵀: هل تعلم كم حولنا من الفقراء؟.

ـ مع أن الملايين كانت تجري بين يديه، إلا أنه مات مديوناً، وقد تكفل أخوه آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي (دام ظله) بتسديد هذه الديون على نحو التدريج.

ـ عاش حوالي تسع سنوات في الكويت ولم يملك شبراً من الأرض، كما عاش حوالي خمسة وعشرين عاماً في إيران، ولم يملك فيها داراً ولا عقاراً، وكان البيت الذي سكنه في قم (المقدسة) عبارة عن وقف خيري.

الهدف

الوصول إلى الأهداف الكبرى لا يتحقق إلا بتركيز الجهود عليها، وعدم الالتفات إلى الأمور الهامشية.

وقد كان الفقيد﵀ ذا أهداف كبرى، ولذا كان يحاول أن لا يشغله عنها شيء.

ـ وقد ذكر بعض العلماء: أنه حدث الفقيدﷺ عما يقوم به بعض المناوئين وقال له: ألا ترد عليهم؟ وكانﷺ مشغولاً بالتأليف، فقال: ليس لدي وقتان، وقت للتأليف، ووقت للرد على هؤلاء.

التضحية

وكانﷺ يرى أن الوصول إلى الهدف لا يتحقق إلا بالتضحية، وكان مستعداً لها، بمختلف ألوانها وأشكالها.

ـ وقد نقل أحد العلماء: أنهﷺ عندما بدأ بتأسيس بعض المشاريع، ثارت في وجهه مشاكل كبيرة، فحدث الفقيدﷺ عن تلك المشاكل.

فقالﷺ: إن لنا ذاتاً وهدفاً، ولا يمكن أن نجمع بينهما، فإما أن نضحي بالذات في سبيل الهدف، أو نضحي بالهدف في سبيل الذات، وقد اخترت أن أضحي بذاتي في سبيل الهدف الإلهي.

التفكير العالمي

كانﷺ ذا تفكير عالمي، ولم يكن يفكر في إطار توصية معينة، أو بلد معين.

ـ وقد نقل أحد أساتذة الجامعات أن الفقيدﷺ دعاه قبل حوالي أربعة أيام من وفاته، وقال: إننا يجب أن نحاول هداية اليهود نحو الإسلام.

ثم طلبﷺ منه أن يفتح صفحة في (الانترنيت) باللغة العبرية لتوجيه اليهود.

قال: وبدأت بالمقدمات، وإذا بي أفاجأ بخبر وفاته ﷺ.

ـ قبل وفاته بحوالي أسبوعين، طلب أحد العلماء من مدينة أصفهان وقال له: إن لي ثلاث أهداف:

الأول: أن يتحول الكفار[١] مسلمين.

الثاني: أن يهتدي جميع المسلمين إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

الثالث: أن يتحد شيعة أهل البيت عليهم السلام فيما بينهم.

وإن عمري لم يسمح لي أن أحقق هذه الأهداف، فاعمل أنت وليعمل الآخرون على تحقيق هذه الأهداف، فإنني أشعر أن ساعتي قد اقتربت!.

ـ من مشاريعه الأخيرة التي لم يمهله القدر لإكماله:

١ ـ تأسيس قناة فضائية لتعريف العالم بالإسلام وبمذهب أهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ تأسيس حسينية في فرنسا.

٣ ـ تأسيس حسينية في موسكو، وقد بعث شخصاً لشرائها إلا أنه لم يعثر على مكان ملائم.

٤ ـ هداية العلويين في تركيا ـ وربما يقدرون بحوالي عشرين مليوناً ـ إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

---

١ ـ أو المسيحيون. منه قدس سره.

التحريض

كان الفقيد رحمه الله يعتقد بأهمية التحريض (والتشجيع نحو الخير). ويرى أن باستطاعة الفرد أن ينجز كثيراً من الأعمال التي لا يستطيع القيام بها بشخصه، عبر حثّ الآخرين وتحريضهم.

ـ وقد نقل أحد الخطباء[١]:

إن السيد رحمه الله زار المسجد الذي كان والده يقيم فيه الجماعة فرآه خرباً، قال: فأعطاني رحمه الله عشر دنانير وقال: هذه مني لتعمير المسجد، وحاول أن تجمع[٢] الباقي من الناس. فإن ظل (بقي) شيء فهو عليّ.

قال: فجمعنا الباقي من الناس، وكفى ما جمعناه ولم نراجع السيد رحمه الله في هذا الشأن.

ـ ونقل أيضاً:

زرت السيد رحمه الله في الكويت، فطرح السيد رحمه الله عليّ تأسيس مشروع خيري في طهران، وقال لي: كم يكلّف المشروع؟ فقلت: مليون تومان ونصف المليون.

فقال رحمه الله: عليك نصف مليون، وعليّ نصف مليون، وعلى هذا ـ وأشار إلى شخص جالس ـ نصف مليون.

فلم يرض الثالث بتحمل هذه المسؤولية.

---

١ ـ هو العلامة الشيخ أحمد معرفت (رضوان الله عليه). الناشر.

٢ ـ أو حاولوا أن تجمعوا. منه قدس سره.

ثم لما زرته رحمه الله في المرة القادمة كان المشروع قد اكتمل.

فقال لي: كم كلّف المشروع؟

قلت: ١٨ مليون تومان.

فقال رحمه الله: هل أعطيت أنا شيئاً؟

قلت: لا.

قال: وهل أعطيت أنت شيئاً؟

قلت: لا، لأننا لم نحتج إلى ذلك، بل كفتنا التبرعات.

وأضاف ناقل القضية:

إن للقائد المحرض دوراً كبيراً في البعث والتحريك، واستشهد بقصة (نادر شاه): حيث إنه رأى في إحدى معاركه جندياً يحارب ببسالة، فتقدم وقال له: أين كنت حينما غزا الغازون إيران، وأين كان سيفك، وأين كانت سواعدك؟

فقال: أنا كنت، ولكن أنت لم تكن.

أي إن الجنود كانوا، أما إنهم لم يستطيعوا أن يعملوا شيئاً لأن القائد لم يكن.

ـ نقل أنه ألقى أحد الخطباء الكبار[1] رحمه الله محاضرات حول سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحياته في مدينة كربلاء المقدسة طوال أيام شهر رمضان المبارك.

---

١ ـ هو المرحوم آية الله السيد محمد كاظم القزويني قدس سره. الناشر.

فشوّقه السيد رحمه الله على أن يجمعها في كتاب.

فأبى الخطيب باعتبار أن المواد كلها موجودة في الكتب الأخرى. فأصر عليه السيد عليه السلام.

ولعل منطقه رحمه الله في ذلك: هو أن المواد وإن فرض كونها متكررة إلا أن نهج الطرح يختلف.

وأخيراً، جمعت المحاضرات في كتاب [1] لقي نجاحاً كبيراً وطبع مرات متعددة.

ـ جاءه رحمه الله ذات يوم أحد الأشخاص [2] فشوقه السيد رحمه الله على التأليف، فقال: في أي موضوع؟

قال السيد رحمه الله: اكتب في التاريخ الإسلامي.

(ولعله باعتبار أن التواريخ الموجودة هي غالباً تواريخ كتبها حاشية السلاطين).

قال: وكم يستغرق العمل؟

قال السيد رحمه الله: حوالي عشرين عاماً.

قال: إنه عمل صعب، وطلب عملاً أخف.

---

١ ـ الكتاب هو (علي عليه السلام من المهد إلى اللحد) ولعل نجاح هذا الكتاب كان سبباً لتأليف أجزاء أخرى من سلسلة (من المهد إلى اللحد). الناشر.

٢ ـ ربما كان العلامة دخيل. الناشر.

فقال السيد رحمه الله: اكتب حول كل واحد من المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام. قال: وكم يستغرق الأمر؟

قال السيد رحمه الله: كل كتاب يستغرق حوالي شهر واحد.

فقبل الرجل كلام السيد رحمه الله وألف سلسلة كتب حول المعصومين عليهم السلام لقيت إقبالاً كبيراً.

التأليف

كان الفقيد رحمه الله يعتقد بأهمية (التأليف) ويرى أنه قاعدة مهمة من قواعد النهضة الحضارية.

وكان ينتهز كل فرصة للتأليف.

كما كان يحرض الآخرين على ذلك.

في أيام القصف العنيف على مدينة قم المقدسة، وحيث لم يكن الإنسان يعلم أنه سيبقى حياً إلى لحظات أم لا؟

كان رحمه الله مكباً على التأليف.

وقد ألّف خلال تلك الفترة بعضاً من كتبه الفقهية.

في آخر المجلد الرابع والتسعين من (الفقه) نجد العبارة التالية:

(تم مقارناً وقت ضرب قم بالصواريخ، إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين).

ـ خرج ذات يوم من بيته في مدينة كربلاء المقدسة، فوجد أن الأحكام العرفية معلنة، فعاد إلى البيت، وفكر أن يشتغل بالتأليف، فألف واحداً من كتبه في ذلك اليوم.

ـ في الكويت، كان يواصل التأليف ضمن أعماله ونشاطاته الأخرى، وحيث إن البيت الذي يسكنه كان صغيراً، وكان مليئاً بالأطفال، طلب أن تشترى منطقة خشبية من ثلاثة طوابق[١]، نصبت في الغرفة، وكان يصعد إليه كل يوم للمطالعة والتأليف.

وقد ألف مجموعة من أجزاء (إيصال الطالب إلى المكاسب) ومجموعة من مجلدات (الفقه) وكتباً أخرى هناك.

ـ فقدت بعض أجزاء (الفقه) وبعض أجزاء (تقريب القرآن إلى الأذهان) على أثر ظروف الإرهاب والقمع، أو النقل والانتقال، فأعاد كتابتها من جديد.

الموعظة

للموعظة اثر بالغ في حياة الإنسان، فإنها توقظ الوجدان، وتقشع عن القلب سحب الجهل والغفلة، وكم من الأفراد تحولوا إلى أولياء الله تعالى على أثر الموعظة.

والموعظة قد تكون قولية، وقد تكون عملية، وتأثير الأخيرة أبلغ في النفوس.

وقد كان السيد رحمه الله يهتم بالموعظة، سواء في خطبه العامة، أو في لقاءاته الفردية.

---

١ ـ أي سرير خشبي ذا طوابق ثلاث. الناشر.

نقل أحد السادة[١]:

دخلت مرة في ديوانية الفقيد رحمه الله في الكويت، وكنت متضايقاً جداً لمشكلة ألمت بي.

وعندما رآني الفقيد رحمه الله على هذه الحالة قال لي: هل عندك التزام معين؟ قلت: لا.

فقال الفقيد رحمه الله: لنذهب إلى مستشفى العظام.

فتصورت أنه يريد زيارة شخص معين.

فذهبنا.. ودخل الفقيد رحمه الله في غرفة ورأى المرضى هناك.

ثم خرج ودخل غرفة ثانية.. وهكذا.

وقد رأينا مجموعة من المصابين، منهم من كسرت جمجمته، ومن كسر عموده الفقري، ومن هشمته سيارة، ومن يتنفس تنفساً اصطناعياً، و...

وخرجنا.. فقلت للفقيد رحمه الله: من كنت تريد زيارته؟ هل كنت تقصد شخصاً معيناً؟ قال رحمه الله: كلا.

قلت: فلماذا جئنا؟ قال رحمه الله: لأجلك.

قلت: وكيف؟ قال رحمه الله: لما رأيتك متضايقاً، فكرت أن أريك من هو أسوأ حالاً منك، حتى تعرف قدر نعمة الله عليك، ولا تتذمر من مشاكلك التي تعتبر بسيطة بالنسبة إلى مشاكل الآخرين.

---

١ ـ هو المرحوم العلامة السيد ثابت آل ثابت (رضوان الله عليه).

قال السيد: وفعلاً سُرّي عني، وحمدت الله على ما أنا فيه، وظلت هذه القضية ماثلة في ذهني حتى الآن.

الأسرة

الأسرة هي المدرسة الأولى للإنسان، كما أنها هي الحصن الأخير، وفي مواجهة الهجمة الثقافية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية القادمة إلينا من بلاد الكفر، لا بد من المزيد من الاهتمام بالأسرة، فإن ذلك يضمن استقامة الأجيال الصاعدة وسلامتها، هذا مضافاً لما لهذا الاهتمام من الموضوعية.

والسيد رغم مشاغله الكثيرة، كان يهتم بأسرته، ويقطع لأجلهم جزء من وقته المشحون، (وربما شاركهم حتى في تهيئة الطعام في المطبخ).

ـ كثيراً ما كان يشوّق أفراد العائلة للاجتماع للدعاء أو لقراءة بعض السور القرآنية، وكان يشاركهم في ذلك برهة ثم ينصرف إلى سائر أعماله.

ـ كان يقيم صلاة الجماعة في بيته لأفراد أسرته في كل يوم، إلى أخريات أيام حياته، فكان أهله وأولاده وأحفاده يجتمعون ويصلون خلفه جماعة.

ـ عندما كان يجتمع الأقرباء والأولاد والأحفاد في الليالي ـ خاصة في فصل الصيف ـ كان يذهب بعد فراغه من صلاة العشاء إلى المطبخ، ليبدأ في إعداد الطعام الذي كان طعاماً بسيطاً عادة، ثم كان يلتحق به بعض أفراد الأسرة ليشاركوه في ذلك، (وكان حينذاك يشرع بذكر حديث شريف أو موعظة حسنة).

ـ عندما كان يأتي ضيف، وكثيراً ما كان يحدث ذلك، كان﵀ يشارك بنفسه في إعداد الطعام، فيذهب إلى المطبخ ويتعاون مع عائلته.

ـ كثيراً ما كان يقول لأفراد العائلة عندما يراهم في المطبخ مشغولين بالمطبخ: لا تصرفوا وقتكم هكذا، بل قولوا: «لا إله إلا الله».

ـ كان هنالك شخص يأتي لهم في صباح كل يوم بنوع من الخبز ـ وكان هذا النوع من الخبز لا يناسب وضعه الصحي ـ .

وقد رآه﵀ بعض أولاده أنه لا يتناول في فطوره الخبز، وإنما يقتنع بالشاي وما حضر! فقال له: إن فطوركم هذا لا قوة فيه، فلماذا لا تتناولون الخبز؟ فقال﵀: إنه يشق عليّ اكل هذا النوع من الخبز، (فإن وضعه الصحي لم يكن يسمح له بذلك) ومع ذلك لم يأمر الرجل بتغيير الخبز، أو شراء خبز آخر معه، لأنه لم يكن يريد أن يوقعه في المشقة، ولو بهذا المقدار، ورد في الحديث الشريف: «المؤمن يأكل بشهوة أهله»[1].

ـ كان البيت لا يسع جميع أفراد العائلة وكثرة الأطفال والضيوف، فلم تكن هناك غرفة مخصصة لمطالعاته وقراءاته وتأليفاته فحسب، فكان بعض كتبه ودفاتره وأقلامه في متناول الأطفال.. إذ لم تكن هناك أية تشريفات في غرفة مطالعته التي هي غرفة نومه أيضاً، وكان يقول: إن قلمي مشترك بيني وبين (فلان) و(فلان) ويسمي طفلين كانا يصادران قلمه ويعبثان به أحياناً.

---

١ ـ الكافي: ج٤ ص١٢ باب كفاية العيال والتوسعة عليهم ح٦.

الآخرة

الآخرة هي الحياة الحقيقية التي خُلق لأجلها الإنسان.

والتذكير بالآخرة له أثر كبير في استقامة الإنسان، ومقاومته لإغراءات الدنيا والنفس والشيطان.

ـ وقد كان السيد﵀ يوصي الخطباء الكرام بأن يخصصوا كل واحد من خمسة مجالس ـ أو نحو ذلك ـ للحديث عن الآخرة.

ـ وقد نقلت بعض قريباته: إنها دخلت قبل أيام معدودة من ارتحال الفقيد﵀ إلى غرفته فجأة فوجدت دموعه جارية على خديه وهو يقرأ في كتاب.

تقول: عندما رأيت هذا المنظر خرجت بسرعة من الغرفة، وبعد فترة أظهرت أنني أريد دخول الغرفة..

فمسح السيد﵀ دموعه، فدخلت الغرفة وسلمت عليه، وكان له﵀ موعد في المكتب قد اقترب وقته فذهب، وانتهزت الفرصة لآخذ ذلك الكتاب لأنظر في الصفحة التي كان يقرأ فيها، وكانت فيها علامة، فوجدت أن تلك الصفحة تتحدث حول قبض ملك الموت لأرواح المؤمنين.

ـ كثيراً ما كان﵀ يذكر جلساءه بالآخرة والموت، وكان يقول: إننا سوف ننتهي فجأة ـ أي نموت ـ.

وكان يقول أيضاً: في يوم من الأيام سوف تخرجون فتجدون صوري على الجدران، فتقولون: ماذا حدث؟ فيقولون لكم: إن فلاناً مات.

ـ في آخر خطبة خطبها قبل رحيله بفترة وجيزة، ذكّر الناس بالآخرة وقال ضمن مال قال:... [١]

---

١ ـ هذا آخر ما وجدناه بخط الفقيه المقدس آية الله الشهيد السيد محمد رضا الشيرازي رحمه الله، حيث لم يمهله الأجل حتى يراجع الكتاب ويكمّل نواقصه.

وتتميماً للفائدة: ننقل هنا ما ذكره الإمام الشيرازي الراحل (قدس سره) في خطبته الأخيرة حول الموت والآخرة: قال رحمه الله: لقد جاء في الروايات والآيات القرآنية: إن الإنسان عندما يموت ويوضع في قبره ـ ونحن أيضاً نموت، فاليوم أحدنا يموت، وغداً شخص آخر يموت، وهكذا ـ نعم عندما يموت الإنسان، ينتبه من غفلته فيبكي كثيراً على ما فاته من العمر المفيد ولم يستفد منه جيداً، حيث بالموت ينتهي كلما كان بوسعه ولم يبق في اليد من وسيلة، فيقول كما في القرآن الكريم: «رَبِّ ارْجِعُونِ»، ولكن يأتي الجواب: «كَلاَّ».. يقول: ﴿**رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا**﴾.

القسم الثالث: هكذا كان أبـي

إطلالة على حياة آية الله الشهيد المقدس
السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ

بقلم نجله الأكبر:

السيد محمد حسن الشيرازي «١١ سنة»

المقدمة

قالوا: رحلت.

لكن هل يمكن أن تغرب الشمس إلى الأبد؟! وهل القمر المنير يأفل إلى الأبد؟!

يا رائد الشمس لقد رحلت عنا وتركتنا مع الملايين من المفجوعين الذين أنسوا حديثك الدافئ العذب، وتعلموا منك ونهلوا من علومك الغزيرة في تلك اللحظات التي التقوا فيها بك خلف شاشات الفضائيات.

فكيف لنا تحمل فراقك؟ وكيف نُسلي قلوبنا المفجوعة؟ وكيف نصدق رحيلك؟

لكن تاريخك سيظلُ حياً ما دام طريقك وحديثك وكتاباتك باقية.

لقد نظرت إلى محبوبك فعقدت السفر إليه وحرمتنا في عروجك من رؤية تلك المحيّا الملائكي الوديع.

ونحن لا نملك إلاّ ان نطلق سيل الدموع في هذا الفراق المرَّ ونذكر بالعزاء يُتمنا بك.

نعم ذهبت، وما يجول في قلب ظلمة هذه المآتم هو عين تصبو إلى طريق النور.. إلى رجوعك مرة أخرى عند صباح الظهور وهي تهفو إلى رؤيتك في ركاب إمامك عليه السلام ونحن لازلنا ننتظر ذلك اليوم....

«روح الخدمة السامية»

عندما يشعر الناس بغياب العلماء والعظماء الذين يؤثرون على أنفسهم ويضحون في سبيل القيم والأهداف فإنهم سوف يشعرون بالفراغ الذي خلفه هؤلاء وعند ذاك سيقيمون لهم مجالس التأبين والذكر.

نجم لامع من أسرة الشيرازي ذات الحسب الشريف والمجد المنيف والأصل الأثيل سما إلى أرفع الدرجات، وعرج إلى حضرة المعبود وترك العالم الإسلامي يكابد الغم ويعالج الحزن.

إن آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ليس بحاجة إلى أن نقيم عليه نائحة التعزية والتأبين؛ ذلك لأن العلماء العاملين أحياء وخالدون وحينما نقيم العزاء ففي الحقيقة نقيمه على أنفسنا إذ فقدنا واحداً من أعظم الناطقين في عرصات الانتظار، والمعلم الأمثل للمباني المهدوية، والمحامي الكبير عن حمى التشيع.

هو النجل الأكبر لآية الله العظمى السيد محمد الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ وقد ولد في كربلاء المقدسة، ونشأ بجوار الشهداء الأبرار وفي خاتمة المطاف وبعد عمر قصير وارتحال مفاجئ وصل إلى أرض كربلاء ليستقر قرير العين بجوار سيد الشهداء عليه السلام كما أوصى هو بذلك

تربى في كنف العظماء كأبيه، وعمه آية الله العظمى السيد الصادق الشيرازي ووصل إلى أعلى الكمالات العلمية والعملية وتربع في سن مبكر على مسند التدريس، إذ درّس السطوحَ العالية في الحوزة العلمية كالمكاسب وقد حضر درسه المئات من الطلبة البارزين وبعد ذلك اشتغل بتدريس أعلى المستويات في الحوزات العلمية المسمى بالبحث الخارج.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : (فالمتقون فيها هم أهل الفضائل)[1]

كان آية الله السيد محمد رضا الشيرازي متقياً واقعياً، وزاهداً حراً ومفكراً متبحراً، لم يبحث عن شيء سوى الرضا الإلهي ولم يكن له مطمحاً سواه؛ لقد أوقف قلمه ولسانه هداية الناس إلى طريق الله، كان له منطق يسحر الجميع بعذوبته وسلاسته، عاش حياةً طيبة لم يُسخط أحداً، يتحمل ظلم الآخرين ويُضمر الحبّ لهم، له وجه يخطف بالأبصار ونظرة أخَّاذة تنفذ في القلوب.

كان سلوكه سلوك العظماء، وعمله عمل أهل الدين، وكلامه كلام الحكماء لم يكن أبداً يسعى وراء مديح أحد.

التواضع في حديثه الصادق وسلوكه غير المتكلّف من المسائل الواضحة في حياته، كان خفيف المؤنة، وكان في التقوى وفي الحذر من زخارف الدنيا وألوانها ينافس المتقين في طول التأريخ، ليسموا بنفسه إلى عنان السماء.

---

١ ـ نهج البلاغة خطبة المتقين.

كانت له قدرة وإحاطة على الحديث قلَّ نظيرها وعزَّ وجودها ومحاضراته التي كان يُلقيها عبر الأقمار الاصطناعية والتي يشاهدها عشرات الملايين والتي تحمل في مطاويها حلولاً لمشاكلَ عقائدية، واجتماعية وأسرية بمستوى علميٍّ رفيع وعمق فكري، مأخوذة من روح الإسلام الأصيل، فكانت تلك المحاضرات على درجة عالية من الوضوح بحيث تناسب الجميع وقد حمل هذا الأسلوب الجديد هدية إلى المجتمع الإسلامي.

لقد كان من جملة الذين وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام (منطقهم الصواب، يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل)[1].

كان يبسط المسائل العلمية الدقيقة والمعقدة بأسلوب سهل وجميل وواضح مما يدفع بمختلف الطبقات إلى ان يتلهفوا للإستماع إليه بل كان يشد قلوب المخالفين كأهل السنة والمسيحيين ليستمعوا إلى محاضراته وخطبه.

فكان لحديثه العذب وكلامه الشيق من المشاهدين ما لا يُحصى ولا يُعد، وفي الواقع استطاع أن يملك قلوب الملايين من الناس في مدة قصيرة.

وبسبب إرشاداته وتوجيهاته تأسس بعض الشبكات الفضائية ومئات المؤسسات الاجتماعية والثقافية.

كان يقول للذين يأتون إلى زيارته ويقعون مأسورين لأخلاقه العالية: حاولوا أن تكتبوا كتاباً أو تقوموا بإنشاء مؤسسة علمية.

---

١ ـ نهج البلاغة، خطبة المتقين.

لا يمكن للألفاظ أن تستوعب منهجه التربوي؛ فقد كان يوقع التربية الدينية في أرواح مخاطبيه ومستمعيه بصورة دقيقة وجميلة.

وقد استطاع بنصائحه القيمَّة وتوجيهاته الرائعة أن يمنح الحياة السعيدة لأفراد كثيرين وأن يمنع انهيار عوائل أو شكت على الدمار.

كان يسعى دائماً لإزاحة الغبار من على وجه التشَّيع، حيث كان يعتقد أن الوجه الحقيقي لمذهب أهل البيت عليهم السلام أندثر تحت غبار المتطرفين والمستخفين وأصحاب الأحكام الجائرة فكان يسعى وراء إظهار الوجه الحقيقي الطاهر للتشَّيع وأن يوصل ذلك إلى أسماع الجميع، وكان موفّقاً في ذلك، حيثُ أعلن الكثير من الفرق الأخرى استبصارهم واعتناقهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

خلَّفَ آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ اثنين من الأولاد اقتفيا أثر والدهما، وهما: السيد محمد حسن والسيد محمد باقر وبسبب تشجيع والده، بدأ السيد محمد حسن بالكتابة وهو لم يبلغ الثامنة من عمره، فأخذ يحرر بيراعه الناعمة القصص والحكايات التي كان يقصّها له والده في الليل، فوصل ما كتب إلى الآن عشرة كتب طُبع أربع منها. لكن الغدر لم يمهله ليرى نجليه وهما يرتقيان مدارج الكمال حيث لم يبلغا سن الـ ١١ حين غرقا في بحر من الحزن والهم والغم.

عند ذاك بدء النجل الأكبر وهو السيد محمد حسن بتسجيل الذكريات التي عاشها مع ابيه بدموع جارية وقلب يعتصره ألم الفراق.

رحل آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ في سحر السادس والعشرين من جمادى الأولى ١٤٢٩ إلى الله طاهراً مطمئناً وترك الملا يين يُقاسون لوعة المصاب.

والشيعة في ذروة الحيرة والذهول؛ لفقدهم ثروة علمية قيّمة كبيرة، واهتز العالم الإسلامي واقيمت المجالس التأبينية في جميع أنحاء العالم.

وبعد ذلك التشييع الجماهيري المهيب دُفن قرير العين في حرم الإمام الحسين عليه السلام ، وفي جوار جدّه المقدس آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ في مقبرة آل الشيرازي وقد استراح من تلك الدنيا البالية التي لم يذق فيها طعم الراحة.

إن الكتاب الذي بين يديكم هو قليل مما يجول في القلب الصغير لنجل السيد محمد رضا فقد كتبها على عجلة ونحن نقدم الكتاب بين يدي القارئ العزيز مع تغيير طفيف على الكلمات أو استبدال لمكان الجمل، ونأمل أن تكون تلك النصائح والعبر سبباً لمرضاة الله تبارك وتعالى.

والغريب في الأمر أنّ الرقابة في وزارة الإرشاد الإيرانية منعت من طباعة هذا الكتاب كما كتبه المؤلّف باللغة الفارسية، واحتجت بأربعة أعذار واشترطت منح الرخصة لطبع الكتاب بحذف تلك المقاطع الأربعة وها هي ترجمة نص ما كتبه الرقيب:

١) في الـ ص١٤ إذا لم يتم تسجيل مؤسسة حفظ تراث آية الله السيد محمد رضا الشيرازي وكانت المؤسسة غير قانونية فلابدّ من حذفها وإلاّ فلابدّ من إثبات ذلك عبر إعلامنا برقم التسجيل.

٢) تحذف كلمات «الشهيد» و«الشهادة» كما في الصفحة ٢٦.

٣) في الصفحة ٤٠ تحذف هذه الجملة «بعد ٩ سنوات من الفراق المر» فإنه هو الذي خرج من إيران وسافر إلى الكويت.

٤) يحذف من متن الكتاب والعنوان عمر المؤلف وأنه ١١ سنة.

انتهى نص ترجمة ما كتبه الرقيب باللغة الفارسية!!!.

التعليق:

١ـ المؤسسة قامت بإعداد الكتاب باللغة الفارسية للطباعة.

٢ـ عبّرَ المؤلف السيد محمد حسن عن والده آية الله السيد محمد رضا بالشهيد في عدة مواضع.

٣ـ كتب في ملحق الصور تحت صورة تضم الشهيد المقدس ووالده الإمام المجدد ـ بعد هجرته إلى الكويت طالت ٩ سنوات ـ هذه العبارة: «اللقاء بعد ٩ سنوات من الفراق المر».

٤ـ لا نعلم ما الذي يغيظهم من عمر المؤلف؟!!

مؤسسة حفظ تراث

آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أقدم بضاعتي هذه إلى الساحة المقدسة للصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام الشهيدة في طريق الولاية والإمامة، المجاهدة التي أحيت القيم الإسلامية والقرآنية.

ثم أقدم هذا النزر اليسير والجهد المتواضع إلى روحك الطاهرة يا مَنْ كنت رائداً في خط الولاية ومثالاً للخلوص والمحبة أيها البطل المجاهد يا رجل الدمعة والتضرع والتهجد، أيها المملوء شرفاً وإيماناً يا دوحة المجد المثمرة من الرسالة الإنسانية.

محمد حسن

رائد الشمس:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[1].

والدي العظيم السيد محمد رضا الشيرازي، الولد البار للمرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي ـ أعلى الله درجاتهما ـ وُلد في كربلاء المقدسة في سنة ١٣٧٩ وقد تربى جوار الإمام الحسين عليه السلام، وتعلّم منه درس الولاية.

لقد تربى في كنف أبيه وعمّه وشرع دراسته في مدرسة حافظي القرآن الكريم، ومن ثم دخل الحوزة العلمية، ثم هاجر إلى الكويت برفقة والده واستمر في تحصيله الدراسي، إذ درس المكاسب والرسائل عند عمه المرجع الكبير آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي ـ دام ظلّه ـ .

وفي سنة ١٣٩٩ هـ ق هاجر إلى إيران واستوطن قم المقدسة وبعد أن أكمل السطوح العالية شرع في درس البحث الخارج عند والده المرجع وعمه الأجلّ وبقية الكبار في الحوزة، حتى وصل إلى درجة الفقاهة والاجتهاد.

وفي سنة ١٤٠٨هـ ق بدأ بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول وإلى حين استشهاده كان مشتغلاً بالتحقيق والتأليف والتدريس وإعداد الفضلاء.

وكما ورد في صفات الشيعة كان بشره في وجهه وحزنه في قلبه.

---

١ ـ الأحزاب، الآية ٢٣.

قام بإعداد الكثير من الطلبة والفضلاء الذين أصبحوا بعد ذلك أساتذة في الحوزات العلمية وفي نقاط مختلفة من العالم.

وقد ترك رحمه الله ٨٠٠٠ محاضرةً عقائدية وأخلاقيه واجتماعية على شكل ملفات صوتية وتصويرية.

ولا زالت محاضراته الكثيرة والمؤثرة تبث عن طريق الشبكات الفضائية (الأنوار، والزهراء، والمهدي، وأهل البيت عليهم السلام و.....) وقد ترك لنا كتباً قيمَّة يمكن أن نشير إلى بعضها:

١ـ الزهراء الفيصل والقدوة.

٢ـ إرادة الإنسان فوق التحديات.

٣ـ الثقة بالنفس طريق الغد المشرق.

٤ـ بيت الزهراء عليها السلام. نموذجاً.

٥ـ رسالة حول الإمام المهدي عليه السلام.

٧ـ كيف نفهم القرآن.

٨ـ الترتب[١].

٩ـ التدبر في القرآن.

١٠ـ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله رائد الحضارة الإنسانية.

١١ـ البراءة من أعداء الله.

---

١ ـ كتاب الترتب الذي بحث فيه مسألة أصولية شائكة ومعقدة، حاز على إثرها اجازات الاجتهاد من عدد من الفقهاء.

١٢ـ خطب الجمعة.

١٣ـ السلسلة المهدوية.

١٤ـ الشعائر الحسينية.

١٥ـ رسالة في الشهادة الثالثة.

١٦ـ رسالة في قاعدة التسامح.

١٧ـ رسالة في أحكام النظر.

١٨ـ ومضات.

١٩ـ بحوث أصولية.

٢٠ـ سلسلة الرسول والعترة عليهم السلام.

٢١ـ تعليقات على مباني منهاج الصالحين.

٢٢ـ رسالة في الاجتهاد والاحتياط والتقليد.

٢٣ـ مباحث رجالية.

ومجموعة كتب أخرى.....

الأخلاق الحسنة

قال رسول الله ﷺ :

(أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً وخيركم لأهله)[١].

قال الإمام الحسن عليه السلام : (أحسن الحسن الخُلق الحسن)[٢].

بعض الناس يتميَّزون بأخلاقٍ حسنة وهؤلاء كالشمس كلما زاد حسن أخلاقهم ازدادوا نوراً، فإذا كانوا أكثر خلقاً ازدادوا نوراً وإشعاعاً وضياءاً.

في مقابل ذلك يوجد من يعاني نقصاً في أخلاقه ويتعامل مع الآخرين بسوء، هؤلاء وبمرور الأيام يخفت نورهم ويُصبح قليلاً حتّى يصل إلى نقطة الخفوت المطلق.

كان والدي الحنون آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ كالشمس يُعطي نوراً ساطعاً حيث كان يتعامل مع الجميع بأخلاق حسنة وعطف ومحبة فإنه كان منقطع النظير.

حتى أنه حينما كان يتعرض إلى سلوك غير مناسب أو اهانة من شخص ما فأنه كان يتعاطى مع ذلك بهدوءٍ خاص، وأخلاقٍ عالية: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾[١].

---

١ ـ الوسائل ج٦ ص٥٠٧.

٢ ـ الوسائل ج١٢ ص١٥٣.

كان والدي الحنون كالشمس بدفئها، وكالذهب بصفائه، بل وأصفى من اللجين.

حيث كان يبتسم دائماً وإذا ارتكب احدٌ خطأً، أو تحدث بطريقة غير أخلاقية كان يقول له بعطف ولين: إن هذا السلوك خاطئ ويوضح له الطريق الصحيح.

لم أره قط في حالة غضب أو عصبية، كان يُعاملنا بمحبة وعطف حتى أنني لم أرَه يعبس في يوم من الأيام.

أن ما نُقش وطُبع في ذهني ووجداني وخاطري عن والدي العظيم هو الأخلاق الفاضلة والعطف والابتسامة الدائمة التي لم تفارق شفتيه.

الاهتمام بالصغار

إحدى وصاياه الدائمة التي كان يُوصي بها أولاده والأقربين هي: أنك لا بدّ أن تُصبح عالماً كبيراً، متقياً، خدوماً، خلوقاً ومدافعاً عن حرم أهل البيت عليهم السلام.

وفي كلِّ مرة يرى فيها طفلاً صغيراً، فأنه يتحدّث معه بأخلاق عالية ويقول له: أنت لا بدّ أن تكون حسن الأخلاق وتحترم الآخرين.

وإذا رأى طفلاً باكياً فأنه يسعى لإسكاته بقطعةِ سكر أو حلوى.

---

١ ـ سورة الفرقان: ٦٣.

وعند جنوح الليل يسرد القصص للأطفال حتى يناموا وفي الوقت الذي يكون مع الأطفال لا يقبل من أحد أن يأتي مكانه فإذا طُلب منه ذلك قال:

اذهبوا أنا أسهر مع الصغار

أتذكر في أيام طفولتي وقد كنت صغيراً جداً، صعدت يوماً على الطَّباخ فانقلبت الطَّباخ عليَّ وأصبحت تحتها فأصاب والدي القلق الشديد ونقلني فوراً إلى المستشفى فلما قال الطبيب: إن ليس هناك ما يبعث على القلق سوى بعض الأورام البسيطة سُرَّ والدي وأخذ يشكر الله.

وكنا ـ أنا وأخي ـ نطلب من والدنا عند حلول موسم الامتحانات ان يدعوا لنا فكان يدعو لنا ونحصل على درجات عالية.

في بعض الأوقات كان يرجع إلى البيت فيجدُ إحدى أخواتي عندنا في المنزل فلما يعرف أن طفلها قد آذاها يأخذه بيده على الرغم من التعب والمشاغل اليومية ويصعد به إلى سطح المنزل يُلاعبه ويبقى معه مدة من الوقت.

ولشدة علاقته بالأطفال فإنهم يركضون إليه بمجرد أن يفتح الباب فيجلس ويفتح أحضانه لهم ويلاطفهم ويُقبلهم.

كان يعلّمُ الأطفال أصول الدين، وفروع الدين، وأسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

العبادة والتهجد

صلاة الليل من العبادات التي يأتي بها قليل من الناس

والدي كان يصلّي صلاة الليل دائماً وكان ملتزم بها منذ أيام شبابه، وكان يوصينا بصلاة الليل ومضت مدة طويلة وهو يوقضنا لصلاة الليل أنا وأخي مع إننا كنا لا زلنا صغاراً، وكان يوصينا بقراءة الشفع والوتر إذا لم نقو على الإتيان بها كاملة، بل كان يقول لنا: إذا لم تستطيعوا على ذلك فاستيقظوا قبل صلاة الفجر بخمسة دقائق وأدّوا ركعة الوتر.

كان يعطي للصلاة في أول الوقت أهمية كبيرة إذ كان يترك ما بيده من أعمال ويبادر إلى الصلاة.

في كل يوم وقبل الأذان يتوضأ ويفرش سجادته ويقول: من الأدب (أن تجيب دعوة المولى قبل أن يناديك)، ثم يصلّي بعد أن يرفع صوته بالأذان مباشرةً وكنت أنا وأخي نفرش السجادة ونصلّي خلف الوالد جماعة، ولا زلنا نضع سجادة أبينا أمامنا عندما نريد أن نصلي.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في معرض حديثه: (تسبيح فاطمة عليها السلام في كل يوم في دبر كل صلاة أحب إليَّ من صلاة ألف ركعة في كل يوم)[1].

كان السيد الوالد وبعد كل صلاة واجبة أو مستحبة يقرأ تسبيح الزهراء عليها السلام ويوصينا أن لا ننسى قراءتها بعد كل صلاة.

وكان يؤكد علينا: كلما أردتم الخروج قولوا: بسم الله وأقرؤا آية الكرسي خمس مرات.

---

١ ـ الكافي ج٣، ص٣٤٣.

كان يولي أهمية كبيرة لصلاتي وصلاة أخي وكان يحب أن يرانا نُصلي أول الوقت؟

في يومٍ من الأيام رُفع الأذان فلم أُبادر وبقيت على عملي، فعندما عاد أبي سألني: هل صليت؟ قلت: ماذا يحصل لو أننا لم نصلِ مرة في أول الوقت؟ فأخذ يشرح لي أهمية الصلاة في أول الوقت فلم أعبأ بذلك وقلت: سأصلي بعد إنهاء عملي غير أن أختي قالت: صلِّ المغرب أول الوقت ثم انصرف إلى عملك وبعد ذلك صلِّ العشاء، فقبلت وعندما رآني الوالد في حال الصلاة فرح كثيراً.

كان يقول عند الطعام: بسم الله ويشكر الله عند الانتهاء، ثم يرفع يديه بالدعاء: اللهم أشبع كل جائع.

وكان يوصينا أيام المجمع بقراءة دعاء الندبة، وكان يجلس وسط الحجرة على ركبتيه ويقرأ دعاء النُدبة بصوت حزين وشجي.

كان يقول في يوم الجمعة: أكثروا من الصلوات.

وكان يوصينا دائماً: أسعوا في كتمان عباداتكم وزياراتكم عن الآخرين.

ليالي طوال لم ينم

ليالي طوال قضاها مستيقظاً بين المطالعة والتحقيق والعبادة.

ذهب يوم من الأيام أحدُ أقربائه إلى جمكران فرآه هناك فتعجب من ذلك؛ لأنه لم يخبر أفراد اسرته بذلك حيث كان يكتم حتى هذا النوع من الزيارات عن أسرته وخاصّته.

لقد حفظ والدي سورة البقرة وهو في العاشرة من عمره، ولما علم أحدُ أصدقائه المقربين بذلك أطلع بقية الزملاء، فانزعج الوالد من ذلك وقال له: لماذا أخبرت الآخرين؟ فعلم صديق والدي إنه يختلف عن بقية الأصدقاء فإنه إلى هذا الحد لا يريد أن يطلع أحد على مسائله العبادية رغم أنه كان صغيراً.

كان والدي لا يعرف التعب فكان يأكل قليلاً وينام قليلاً ويهتم بنفسه قليلاً.

سأل شخصٌ آية الله العظمى المرجع السيد محمد الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ والد الفقيد: لماذا كلما دعوناه إلى تناول الطعام أكل قليلاً؟ فقال والده جواباً على ذلك: إبني محمد رضا لم يُخلق لهذه الدنيا.

كان إذا سأله سائل يعطيه بقدر المستطاع حتى إذا تكرر الأمر كل يوم.

كان سلوكه سلوك أبيه وجده آية الله العظمى الميرزا مهدي الشيرازي.

في بعض الأوقات كان يرجع إلى البيت وبيده قطع من الأوراق الممزقة فعندما نسأله ما هذه؟ يقول متأسفاً: هذه قطع من الأوراق تشتمل على أسماء الله والآيات القرآنية. وأسماء الأئمة التي سقطت في زوايا الزقاق قمت بجمعها.

العلاقة والارتباط بأهل بيت الوحي عليهم السلام

والدي كان يحضر دائماً مجالس العزاء التي تُقام على أهل البيت عليهم السلام وكان كثيراً ما يصطحبنا إليها.

وفي أيام الوفيات يقوم بتعطيل درسه حتى إذا كان الدرس خاصاً ولأقرب الناس ويقصر عمله على حضور مجالس العزاء.

وفي إحدى مناسبات استشهاد الأئمة عليهم السلام لم يحضر أحد أصهاره إلى درسه، وكان ذلك قبل يوم الاستشهاد وكان هذا الطالب مواظباً على حضور الدرس فأصاب الاستاذ القلق وأخذ يسأل عن أحواله، فلما رآه سأله عن سبب عدم الحضور؟ فأجاب كنت في مجلس العزاء ولم استطيع الحضور، فقال له: نعم إقامة العزاء على الأئمة أفضل من هذا الدرس.

وقبل استشهاد والدي بأيام حدَّث والدتي عن رؤيا كان قد رآها مع أنه لم يكن يحدِّث أحداً عن الرؤيا قال: رأيت الزهراء عليها السلام في عالم الرؤيا وقد احتضنتني.

وفي الليلة الأخيرة من حياة والدي العظيم، كنا قد ركبنا السيارة أنا وأخي مع والدي وعمي وابنه، فذهب والدي وعمي إلى المكان الذي كانا يقصدانه، وقالا للسائق: أن يأخذنا نصف ساعة نستنشق الهواء الطلق فلما رجعنا إلى البيت لاحظنا والدي في ذروة البشاشة، والابتسامة لا تفارقه، وكان ذلك قبل استشهاد والدي ببضع ساعات.

والدي بعمله وسلوكه كان يُحيي في أذهاننا حياة الأئمة عليهم السلام خطبهُ ومواعظهُ العديدة التي خلَّفها تركت أثراً كبيراً على الناس؛ لأنه كان يفعل ويُطبّق ما يقول أولاً، ثم يطرحه ويقوله للناس. وكان يسعى أنْ يكون سلوكه كسلوك الأئمة عليهم السلام.

في شهر محرم كان يقول لنا: لا بدّ أن تلبسوا السَّواد وكان يلبس السواد في شهري محرم وصفر، ويقول لنا أيضاً: احضروا مجالس الإمام الحسين عليه السلام، وامشوا حُفاة يوم عاشوراء حتى مع سقوط الثلوج، وأرقوا المنبر، واخطبوا وذكروا بمصيبة الحسين عليه السلام.

التواضع واحترام الجميع

كان لآية الله السيد محمّد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ توجهاً خاصاً لارحامه وأقربائه، فهو في سؤال دائم عن أحوالهم، فإذا علم أن أحدهم إصابه مرض عاملهُ معاملة أبوية، فيسأل عن حاله بصورة مباشرة وغير مباشرة وإذا اقتضت الضرورة أن يذهب إلى الطبيب كان يفكر أن يُرسله إلى طبيبٍ حاذق.

في بداية دراسة أحد الطلبة عرف والدي أنه يُخاطب أباه بلفظ «أنت»، فطلبه بكل أدب وقال له: لو خاطبتَ أباك بـ «أنتم» لكان أكثر جمالاً وحُسناً.

وفي يوم من الأيام وحيث أن إحدى أخواتي كانت مشغولة بإعداد بعض الأبحاث اللاّزمة للخطابة، فكانت تبحث عن مطالب مفيدة ونافعة، فاستعانت في ذلك بوالدي وطلبت منه المساعدة ورغم مشاغل وأعماله الكثيرة جدَّ في مساعدتها.

ينقل أحدهم أن الوالد وفي إحدى سفراته إلى سوريا سألني أين يمكن أن نحصل على طعام نظيف؟

قلت: سيدي الآن أنا اُحُضر لك الطعام؛ لأن هذا العمل بسيط بالنسبة لي إذا أذنت لي، لكنه لم يأذن بذلك وقام هو بنفسه بالعمل.

والدي ومنذ أيام الشباب كان يعاني من آلآم في ظهره، وكان يشتد به الألم ويصل إلى ذروته مع كل ذلك لم يترك المطالعة والتدريس في يوم من الأيام وفي كل مرة يُسأل عن صحته يقول: الحمد لله حالي أفضل من كثير من الناس.

شخص آخر يقول: في بعض الأوقات كنّا نذهب معاً للزيارات والعيادات فكنا عندما نصل إلى المكان المقصود كان سائق السيارة ينزل ليفتح باب السيارة، غير أنّه كان يرفض ذلك ويقول: أنتم انصرفوا، أنا أفتح الباب.

وفي بعض الأوقات عندما كان يذهب إلى العزاء أو زيارة شخص ما كان يُصادف أن سائق السيارة لا يجد مكاناً يضع فيه سيارته، فكان يدعو والدي والأخرين إلى النزول من السيارة ويقول: اذهبوا أنتم سأضع السيارة في مكان آخر وسوف أحضر المجلس لكن والدي كان يقف في مكانه ينتظر السائق حتى يعود وكان يقول: نحن جئنا معاً وندخل معاً!

وفي كل مرة يريد أحد أصهاره أن يخرج من المنزل كان ينزل من السُلَّم ويُشيِّعه رغم ما كان يعاني من الآم الظهر، ثم يرفع الستار عن الباب ويقف عند الباب حتى خروجه.

في نظر الآخرين

قال آية الله العظمى السيد صادق الشيرازي ـ دام ظله العالي ـ في العالم الفقيه آية الله السيد محمد رضا الشيرازي ـ أعلى الله درجاته ـ :

١ـ اللهم أنه كان يخافك ويخاف فيك فآمن روعته.

٢ـ كان الفقيد السعيد أملي لمستقبل الإسلام.

٣ـ كان الفقيه مثالاً للعالم الزاهد وآية في الورع والتقوى.

٤ـ كان الفقيد كلما ازددت منه قرباً ازددت له حباً.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1] **.**

وفي خاتمة ذكرياتي أقوم بتسجيل ما ورد عن سلوك وأخلاق السيد الوالد عن لسان أسرتي (والدتي وأخواتي) حتى تكون لنا وللجميع عبرةً ودرساً.

الاهتمام بشؤون الشيعة

والدي كان يولي اهتماماً خاصاً لمسائل الشيعة وخاصة شيعة العراق فكان يشرح لنا أوضاع وأخبار العراقيين دائماً وكان يُصيبه الحزن والألم أثناء الحديث.

أتذكر يوماً من الأيام ونحن على المائدة، أخذ يقصّ لنا قصة طفل عراقي لم يستطع أن ينام من شدة الحر وعدم توفر وسائل التبريد، وبعد نقل هذه القصة ظل والدي متأثراً ولم ينم إلى الصباح.

كلما نُقل له عن أحوال ومشاكل الناس كان يتأثر كثيراً ويداوم على قول: (لا حول ولا قوة إلاّ بالله ولا إله إلا الله).

---

١ ـ سورة يوسف:١١١.

كان يُبشر العراقيين بمستقبل زاهر ومشرقٍ، وكان يذكر العراق وأهله في محاضراته وخطبه.

الاهتمام بشؤون الناس

كان ممن يعملون بهذا الحديث الشريف.

(عليكم بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه)[١].

لم يكن يُضيع اللحظات والثواني بل كان يسعى دائماً في هداية الناس وخاصة الشباب ففي أثناء السفر كما في الطريق إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام كان يتحدث إلى سائق السيارة مثلاً فيسأله عن أوضاعه وأحواله وشؤون حياته فيتفق أحياناً أن السائق لا يعتني ولا يعير أهمية لما يقوله والدي لكن بعد مدة من الزمن وعندما يتعرف السائق على أخلاقه العالية وعطفه ولطفه وحديثه الشيِّق ونصائحه وإرشاداته كان يقع أسيراً له ويصغي بروحه إلى كلماته النورانية وحديثه الإلهي.

وفي إحدى سفراته وفي أثناء حديثه وجه السيد الوالد سؤالاً إلى السائق، هل تذهب إلى زيارة السيدة معصومة عليها السلام عندما تأتي إلى قم؟

فرأى والدي أن السائق لا يهتم بالزيارة، فبدء بالكلام معه وبعد طول حديث وموعظة وإرشاد ونُصح تراجع السائق عمّا كان يقول إلى حدٍّ إنه قال في نهاية الطريق إذاً سوف أزور السيدة المعصومة عليها السلام كلماجئت إلى قم.

---

١ ـ الكافي ج٨٢ ص٢٠٨.

وبعد مدة وعند رجوعه من السفر رأيت شخصاً يعدو إليه بكل شوق ولما وصل إليه صار يقبل يديه وجبينه واحتضنه بحرارة ولهفة، ثم علمنا بعد ذلك أن هذا الرجل هو ذاك السائق الذي تحدث معه أثناء السفر عندما أوصله إلى قم قبل سنوات.

لقد كان هذا الاستقبال نتيجة الأخلاق العالية وحسن التعامل مع الناس.

الزهد

قال سفيان: دخلت على جعفر بن محمد عليه السلام وعليه جبة خزٍّ دكناء، وكساء خزٍّ فجعلت أنظر إليه تعجبّاً، فقال لي: يا ثوري مالك تنظر إلينا لعلك تعجب مما رأيت....؟ ثم حسر عن ردن جبته فإذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل، والردن عن الردن، فقال: يا ثوري لبسنا هذا لله، وهذا لكم فما كان لله أخفيناه وما كان لكم أبديناه[1].

كان سلوك وأفعال والدي كما ينقل عن أهل بيت الرسالة عليهم السلام، إذ كان يحافظ على الظاهر دائماً إلاّ أن ملابسه البيتية كانت رثة وبالية وقد تمزق بعضها من كثرة اللبس فكان يخيطه بيده ولم يسمح لأحد أن يخيطه أو يخيط ما تمزّق منه.

---

١ ـ العدد القوية لدفع المخاوف اليومية ص١٥٠.

ذكر الله وأهل البيت عليهم السلام

في كل الأوقات.. في حال الوقوف أو الجلوس.. في السكوت أو أثناء الكلام، لم يكن يفارق ذكر الله لسانه ووجدانه، وكان دائماً في رحاب ذكر الآخرة وأنا شخصياً سمعت منه مراراً وتكراراً: «لا تفوت مدة من الزمان حتى نكون مجبورين على ترك الدنيا إذن لا بدّ أن نعد العدّة وأن نهيأ الزاد».

لم يؤخر صلاته أبداً ولو لدقائق، وقد رأيته ذات مرة يصلّي وقد مرَّ على وقت الصلاة زمان قصير، فتعجبت واستفسرت عن ذلك فأجاب طرأ موعدُ استثنائي وفجائي، لذا تأخرت صلاتي بضع دقائق.

أحياناً وهو مشتغل بالمطالعة أو بإنجاز عمل ما، يسمعُ ذكر المصيبة (مصيبة أهل البيت عليهم السلام) من شريط التسجيل، فينقلب حاله وتتغير معالمه وينتابه الأسى والحزن وتتحادر دموعه على خدّه، وإذا تكلّم أحد الصغار في أثناء قراءة المصيبة كان يقول له: أسكت واستمع للمصيبة.

وذات يوم دخل شخص من أسرتنا ومعه وعاء فيه طعام فطلب منه فوراً أن يستمع إلى العزاء أولاً ثم يتناول طعامه.

في أيام وفيات الأئمة الأطهار عليهم السلام لم يكن يجلب شيئاً من الاحتياجات اليومية للبيت ولم يشترِ شيئاً من الغذاء أو الفاكهة، مهما كانت ضرورية، وهذه السُنة لا زلت قائمة في البيت.

وقبل حلول ذكرى استشهاد الأئمة عليهم السلام كان يبادر إلى تذكيرنا بالحزن، والغم ويوصينا بلبس السواد، كما كان يوصي ان نلبس السواد للأطفال.

النظم والدقة

كان دقيقاً جداً في مواعيده ووعوده إلى درجة أن الجميع يعلم أنه لم يكن يتأخر دقيقة واحدة عن موعده في الأوقات الطبيعية. وقد كان منظّماً في أمور الحياة كما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام.

«عليكم بتقوى الله ونظم أموركم»[١].

كان يقول لطلابه في الدرس: «إذ تأخرتُ عن الدرس دقائق أعلموا أن طارءاً غير اختياري قد حدث»

وفي الوقت الذي كنا نتشرف معه بزيارة السيدة المعصومة عليها السلام، كان يتأخر في بعض الأحيان عن موعده معنا، فيتضح بعد ذلك أن جماعة جاءوا إليه وطرحوا عليه بعض المسائل والمشاكل، وكان ذلك سبب تأخيره.

صلة الرحم

السيد محمد رضا الشيرازي رجل العلم والأخلاق كان يولي أهمية بالغة لزيارة أقربائه وأرحامه، فكان دائماً يذهب إلى زيارتهم وإذا كانوا بعيدين يتصل بهم هاتفياً.

وكان يقترح علينا أن نذهب كل جمعة لزيارة واحد من الأرحام.

كان يُعقد في منزل عمته الفاضلة مجلسٌ للعزاء في أيام الجمع، وفي كل جمعة يسألنا من الذي ذهب إلى العزاء؟ فإذا عرف أن أحداً قد ذهب إليها يُصيبه السرور والفرح؟

---

١ ـ بحار الأنوار ج٤٣، ص٢٥٦.

وفي يوم من الأيام أتخذ مجموعة أقربائنا موعداً مع واحد من الأرحام غير أنهم نسوا الموعد، فلما وصل الخبر إلى أسماع والدي الفاضل أغتم وأنزعج بشدة، ثم ذهب بنفسه إلى بيت ذلك الشخص مَع أنه لم يكن مع موعد معه ـ حتى أخذ منه الرضا والسماح.

كان لجدتنا (حفظها الله) حرم آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي علاقة شديدة بسماع فضائل ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام ولأجل ذلك كان والدي يذهب إليها يومياً ويجلس عند سريرها على ركبتيه بكلّ احترام ويجلب معه كتاب (القطرة) وينقل لها من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ، وبسبب محبته الكبيرة لها فقد نقل مكتبته إلى بيتها حتى لا تشعر بالوحدة وفي كل سحر يخرج من منزله ويسرع إلى منزلها وثم يتناول معها وجبة الإفطار التي تقوم هي بإعدادها.

وفي آخر سفرةٍ له إلى مشهد كانت إحدى أخواته معنا إذ سافر زوجها إلى كربلاء.

فكان يهتم برعايتها اهتماماً خاصاً يسأل عنها في اليوم عدة مرات ويذهب لرؤيتها ويسعى لتلبية احتياجاتها.

وعند وصولنا إلى قم وقبل وصول زوجها اتصل بها هاتفياً وسأل عن أحوالها وأوضاعها ولم يقطع هذا الارتباط حتى رجوع زوجها من السفر.

هذا قليل من كثير ما نقله أفراد أُسرتي عن والدي العظيم.

نعم هكذا كان أبي.

كان أباً منقطع النظير، واعي، غيور، عطوف، يخاف من الله، لم يعلُ صوته أبداً، يُراقب أقواله وأفعاله بشكل مباشر، وفي كل يوم يُعلمنا أنا وأخي مسألة دينية وكان يبذل جهداً كبيراً في تربيتنا.

من وصاياه الدائمة لنا

الصلاة في أول الوقت، صلاة الليل، أدعية أيام الجمع وخصوصاً دعاء الندبة، صلة الأرحام، الإحسان إلى الجيران، الاهتمام بالصغار.

الإستعداد للرحيل

وقبل أسبوعين من استشهاد والدي، عزم السفر إلى أصفهان في أيام الفاطمية للمشاركة في مجالس العزاء قال له صهره الشيخ النوَّاب: نحن لا نقبل أن تعرّض نفسك لوعثاء السفر مع ما تعانيه من الآم الظهر.

فقال له: هذا آخر سفرٍ لي إلى أصفهان!!

وفي صيف كل سنة كنا نذهب بصحبة والدي إلى زيارة الإمام الرضا عليه السلام لكن هذا العام أول عام كنا نزور مشهد في الربيع!!

وفي آخر أيامه، كان منشغلاً في البحث عن عيوب البيت وإصلاحها.

في بعض الأوقات كان ينظر إلى ابنته الصغيرة التي لم يبلغ عمرها عاماً واحداً ويقول: هذه البنت الصغيرة تكسر قلبي!!، في حال أنه لم يقل ذلك في أيٍ من أولاده الصغار، وأكبر الظن أن والدي العزيز كان يريد بذلك أن يُخبرنا عن سفره الطويل.

وفي الساعات الأولى ليوم الأحد المصادف للسادس والعشرين من جمادى الأولى عام ١٤٢٩ هجـ على صوت الغمّ والفاجعة وأُعلن وفاة والدي الحنون في مناخ من الحزن والأسى وانهالت دموع المؤمنين وقد شعرت بأن الشمس أصبحت وحيدة ورحل القمر وسقطت النجوم.

وعاد الحزن والهم إلى البيت مرة أخرى[١].

ارتحل والدي وحرمنا من رؤية وجهه الرحيم وكلامه الجميل الجذاب.

قد رحل عن هذه الدنيا الصغيرة الحقيرة إلى عالم آخر غير أنه خلَّف ذكريات كثيرة، الذكريات التي لا يمكن أن تُمحى من أذهاننا.

لقد كان أسوة في الأخلاق، وأسطورة في التقوى، وقدوة في الزهد يعرف ذلك من رافقه مدة طويلة وكذلك يعرفه من رافقه قليلاً من الزمن

«يا والدي السماوي».

آمل أن استمر على نهجك الذي سرت عليه بكل إخلاص لله ولأهل بيت الرسالة إذن أدعو لي.

ولدك المفجوع محمد حسن

الأربعين من استشهاد والدي العزيز

قم المقدسة ـ ٦/ رجب/ ١٤٢٩

---

١ ـ الأولى كانت في ارتحال جدي الحنون آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي.

الفهرست

المقدمة ٣

القسم الأول: والدي ٧

أساتذته ٨

مرجعيته ٩

جهاده ٩

من تلامذته ١٠

مؤلفاته ١٠

عالم البرزخ ١٢

فوجدوا ما عملوا حاضراً ١٤

التاجر البخيل ١٥

آثار العزاء الحسيني ١٧

الاحتياط في الأموال ١٩

حفظ القرآن وقراءته ٢١

من أخلاقه السامية ٢١

من طلب العلا سهر الليالي ٢١

العتبات المقدسة ٢٢

التوكل على الله ٢٢

الملاريا ٢٤

عالم الجن ٢٤
حفظه القرآن في الليالي ٢٦
من زهده ﷺ ٢٧
قلّة النوم ٢٨
حسن الخلق ٢٨
من كرامات العباس عليه السلام ٢٨
صفاء القلب وطهر النوايا ٢٩
طي الأرض ٢٩
تذكرة القبر ٣٠
التربة الحسينية ٣٠
التصدي للانحرافات السياسية والاجتماعية ٣٠
الحساب الدقيق ٣٣
الأدب والشعر ٣٤
الشعائر الحسينية ٣٤
الخط الجميل ٣٥
مواجهة الفساد ٣٥
حفظ الآثار الإسلامية ٣٦
دعوة السيد الحكيم ٣٧
مع البهلوي الأول ٣٨
كان ضحكه تبسماً ٣٨

الفهرست ١١٩
الحرب العالمية الثانية ٣٩
التفكر الدائم بالآخرة ٣٩
زيارة العباس عليه السلام ٣٩
عندما أهانه شخص ٤٠
من يذكركم الله رؤيته ٤٠
مداومة حضور مجالس العلماء ٤١
حسن المعاشرة ٤٣
ذريته ٤٤
من المعجزات ٤٤
من تواضعه ٤٥
قراءة العزاء للإمام الحسين عليه السلام ٤٦
من عنايات المعصومين عليهم السلام ودعاء الوالد ٤٨
من بركات كتاب الرحمن ٥١
التجلي في قبو الغيبة ٥٢
المرجعية: مسؤولية كبرى ٥٥
اعتياد الخير ٥٧
الزهد والتقوى ٥٧
العلم والعمل ٥٨
المرجعية رأفة ورحمة ٦٠
أنفع الأعمال ٦١

نصيبه من الدنيا ٦٢
مرض والدي ٦٢
الهجرة إلى كربلاء المقدسة ٦٢
النفس الحنونة ٦٣
الفاجعة الأليمة ٦٤
مقتطفات طيبة ٦٤
مواقف الصمود ٦٥
ورع الفقيد ٦٥
المواظبة على قيام الليل ٦٦
غضّ البصر ٦٦
ما تلقاه الوالد على أيدي الحكام ٦٦
رؤيا الوالد وإصابته بالسكتة ٦٧
خاتمة الصالحين ٦٧
القسم الثاني: خواطر ٧٠
العبادة ٧٢
الزهد ٧٣
الهدف ٧٤
التضحية ٧٥
التفكير العالمي ٧٥
التحريض ٧٧

الفهرست ١٢١
التأليف ٨٠
الموعظة ٨١
الأسرة ٨٣
الآخرة ٨٥
القسم الثالث: هكذا كان أبي ٨٧
المقدمة ٨٩
«روح الخدمة السامية» ٩٠
التعليق: ٩٥
مقدمة المؤلف ٩٦
رائد الشمس: ٩٧
الأخلاق الحسنة ١٠٠
الاهتمام بالصغار ١٠١
العبادة والتهجد ١٠٢
ليالي طوال لم ينم ١٠٤
العلاقة والارتباط بـأهل بيت الوحي عليهم السلام ١٠٥
التواضع واحترام الجميع ١٠٧
في نظر الآخرين ١٠٨
الاهتمام بشؤون الشيعة ١٠٩
الاهتمام بشؤون الناس ١١٠
الزهد ١١١

١٢٢ ..... عندما يتحدث الأبناء

ذكر الله وأهل البيت عليهم السلام ١١٢

النظم والدقة ١١٣

صلة الرحم ١١٣

من وصاياه الدائمة لنا ١١٥

الإستعداد للرحيل ١١٥